الفصل السابع

فن العمارة والآثار العمرانية

لاشك أن الكثير من الآثار الدوستكية الإنشائية كالأسوار والقلاع والجسور والمساجد والخانات والقباب والدور السكنية قد إندثرت، إلا أن قسماً منها ظل شاخصاً حتى زمننا هذا لم يستطع الدهر إزالتها. ولكننا رغم ذلك لا نمتلك مادة كافية لدراسة الخصائص المعمارية للدولة الدوستكية بشكل مفصل وكذلك الخصائص المعمارية الكُردية آنذاك. فكما هو معروف إن القصور والمباني السكنية والمساجد هي التي تحتوي على تفاصيل ودقائق الفن المعماري لا الأبراج الصامتة. ولكن مع هذا وصلت إلينا بعض المعلومات بهذا الصدد. ويحتمل أقدم من تحدث ولو بإيجاز عن فن البناء والزخرفة لبني مروان (الدوستكيين)، هو المستشرق (فان برشم) في كتابه الضخم (AMIDA) الذي وضعه عن آثار مدينة دياربكر ونشره في أوائل هذا القرن. فقد قال حسبما نقله عنه السيد محمود ياسين، الذي لم يغفل عن التطرق الى هذا الموضوع الحيوي، مايلي:"كانت الكثير من الأبنية في زمن بني مروان محلاّة بالنقوش والزخرفة، وتفننوا في تركيب أبواب المدن... وإستخدموا الأقواس في البناء وهي مما يسمى بالأقواس المسكورة. وقد وجد قوسان مكسوران أحدهما يحيط بالآخر عند الباب المواجه للمدينة ويرتفع فوق القوس الثاني برج المدينة، أي مدينة فارقين"(١).

وإستخدمت الدولة الدوستكية من الملاط للربط بين أحجار البناء الجبس (الكلس) والجص، كما إستخدمت الحديد أيضاً في البناء لزيادة التقوية كما سنذكر لاحقاً. وإستخدمت في الريازة المعمارية الزخرفة والرسوم الحيوانية أيضاً. ولعل القصر الدوستكي (دار الإمارة)، الذي كان بأربعة طوابق، كان من أهم المباني الدوستكية المحلاة بالزخارف. وقد أشار الفارقي في (ص١٠٧) الى زخارفه حين قال إن: "نصرالدولة عمل في القصر أحسن عمل وزوّقه وأجرى في حيطانه وسقوفه الذهب وعمل فيه ما لم يُعمل". علماً بأن لفظ (التزويق) يشمل الزخارف النباتية والهندسية، وكذا الرسوم الحيوانية والآدمية معاً. لذلك يحتمل أن القصر كان مزيناً بالرسوم أيضاً. فقد إستخدمت الدولة الدوستكية رسوماً حيوانية في بعض منشآتها وقد بقي بعضها على ما سنذكر.

ومما لاحظنا في فن العمارة الكُردية في عهد الدولة الدوستكية هو أنها إستخدمت في جامعها بدياربكر، والمعروف حتى الان بـ(جامع بني مروان)، الأقواس المنكسرة قليلة الإنكسار. ففي مدخل الجامع قوس منكسر (مدبب) يعلوه بمقدار قوس منكسر أكبر، وقد استخدمت الاكتاف على جوانب الأبواب عند بداية الأقواس وإرتكازها. وهذه الأكتاف طالعة الى الأمام أي الى الخارج كرفوف مسطحة من فوق ومنحنية من الأسفل كرقبة حية (كوبرا)، وهذه الأكتاف كانت موجودة في حضارات سابقة وخاصة الرومانية والإغريقية.

(١) محمود ياسين، الإمارة المروانية، ص١٨٨. نقلاً عن AMIDA، ص٣٤.

لقد إستخدمت الدولة الدوستكية أقواساً دائرية في الجامع أيضاً، حيث يوجد قوس دائري في الطابق الثاني من الجامع، ويعلو القوس قوساً آخر مشابهاً في الطابق الأسفل. والغرفة الفوقانية للجامع لها طارمة نحو الخارج يعلوها القوس المذكور وأمامها مشبك حديدي، وهي نوع من (شاذروان). أما الشبابيك فهي مستطيلة مربعة المقطع أي ذات زوايا أربعة. وإستخدمت الدولة الدوستكية نموذجاً من الريازة المعمارية وهو المخاريط الحجرية التي تسمى بالكُردية (مروله)، وهي عبارة عن حجر في صف من كل صفين من أحجار الجدار بارز الى الخارج بمقدار من مستوى الجدار، وذلك في بعض الجدران أو في زاوية بعضها، بحيث يتبادر الى ذهن الناظر أنها أدخلت في الجدار خرطاً كالمسامير. وكل حجر من هذه فوق وبإستقامة الحجر الذي يليه من نفس النوع، وهكذا يتكون عمودياً خط من (مروله) بارزة. لقد إستخدمت الدولة الدوستكية هذه الريازة في (المنظرة العتيقة) لقصر نصرالدولة، والتي تسمى الآن بـ(قلعة زمبيل فروش)، وفي البرج المخمس بفارقين وقلدتها في ذلك الإمارة الأيوبية في فارقين عند تعمير المباني. وتوجد هذه الريازة لدى دول لاحقة وخاصة الدولة العثمانية. ولا ندري هل ان الدولة الدوستكية إقتبستها من دولة أخرى أم لا؟ ومن المحتمل أن تلك الريازة هي إمتداد لفن معماري كُردي قديم يعود الى النصف الأول أو النصف الثاني من الألف قبل الميلاد. فقد إستخدمته الدولة الكاشية في العراق (١٥٣٢ أو ١٥٨٠-١١٠٦ أو ١١٥٧ ق.م)، حيث قدم الكاشيون من لُرستان وأتو معهم بهذه الريازة. فأدخلوا المخاريط الفخارية في الجدران الطينية كالمسامير وشكلوا منها نقوشاً فسيفسائية ملونة مختلفة في المعبد الكلسي (معبد إي - أنا) في الوركاء، وهو من خصائص فن العمارة الكاشية. ولا يزال الكُرد يستعملون هذا الفن، وذلك بإدخال أخشاب كالأوتاد في الجدران الحجرية عمقاً ويسمونها (مروله)، وهو فن كُردي أصيل أحبه الكُرد وخاصة في منطقة هورامان وسوران، حتى إن محمود پاشا الجاف إستعمل (مروله) خشبية في منارة جامعه في قزربات (قزل رباط) في منطقة خانقين وخلف جبل حمرين. وقد أدخل المرولة في دورة المنارة لتصبح جزءً من مقرنصاتها، والمنارة هي الوحيدة من نوعها التي تتصف بهذه الريازة في كُردستان والعراق. أما الأخشاب الكبيرة التي تدخل في الجدران الحجرية أفقياً بين كل صفين أو أكثر، فتسمى بالكُردية (ديمهك). ويستعمل النوعان لتقوية البناء وللزينة أيضاً. إن ما إستعملته الدولة الدوستكية قد جاء من طراز (مروله) ويمكن تسميتها بالمروله الحجرية، و(مروله) بكسر الميم وفتح اللام.

وإستخدمت الدولة الدوستكية الشرفات الدفاعية أيضاً في الجامع، لما انه كان ملصقاً بسور دياربكر وباب الجبل (باب خربوط)، من أبواب المدينة. والشرفات التي فوق أعالي الجامع مستطيلة مربعة المقطع. وفي وسط كل شرفة نافذة (زرّاقة) طولية لرمي السهام، وقد استعملت في بعض الأبراج مثل (البرج المرواني) زراقات طويلة ضيقة.

أما مزاريب مياه الأمطار على الجامع، فعملتها من الحجر بدلاً من الخشب، وقد شاهدنا في مدينة عقرة (ئاكرى) مجموعة من هذه المزاريب الحجرية المحفورة على السطوح. وقد إستعمل الآشوريون المزاريب الحجرية كما تشاهد في خرائب نينوى.

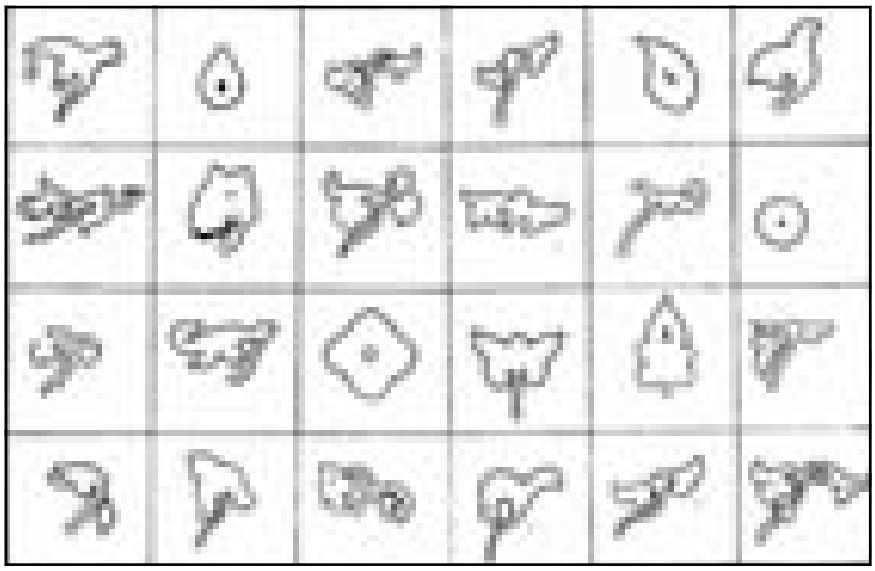

لوحة للزخارف الموجودة مع الكتابات الكوفية

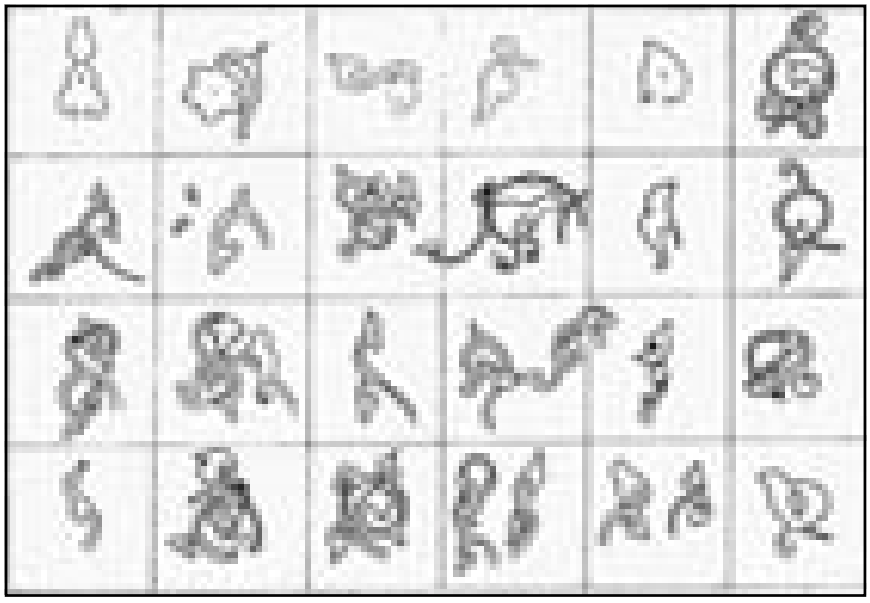

لوحة للزخارف الموجودة مع الكتابات الكوفية

طراز السدلي

كان الطراز المعماري المسمي في العهد الإسلامي بـ(السدلي)، الذي يسميه الكُرد حالياً بـ(كەلەكى وگەلەگى)، موجوداً في العهد الدوستكي. فقد ذكر الفارقي في (ص١٧٧) أن نصرالدولة دُفن أولاً في السدلي بالقصر، ثم نُقل الى القبة التي شيدتها إبنته (ست الملك) بملاصقة جامع المحدثة بالميدان (أمام المدينة من جهة القبلة). ولا بد بأن دفن الأمير كان في أرضية الطابق الأسفل. لقد شرح الدكتور بدوي عبداللطيف (السدلي) بأنها القبة القائمة على ثلاث دعائم وهو خطأ. وذكر العلامة مصطفى جواد أن أصل اللفظ هو (سەدل) البهلوية الساسانية، ومعناها ثلاث قباب. وقد تم تعريب اللفظ الى (سدير) وهو أن تُبنى الدار بثلاث قباب متداخلة: إيوان وغرفتين كل واحدة على أحد جانبي القبة الوسطى (الأيوان). ولما كان أحد قصور الحيرة (قصر الخورنق) قصر النعمان بن المنذر مشيداً على هذا الطراز، فقد سمي بالسدير[٢] وكان (قصر الخورنق) بالحيرة ايضاً مشيداً بنفس الطراز ولهذا سمى الباحثون الأبنية المشيدة بهذا الطراز الطراز الحيري أو بـ(الحيري ذي كمين). وذكروا بأنه يتكون من قلب هو الأيوان ومن ميمنة أي الغرفة الواقعة في يمين الأيوان ومن الميسرة أي الغرفة الواقعة في يسار الديوان، ويقع باب كل من الغرفتين في داخل الأيوان. وقد أتخذ هذا الطراز على هيئة تشكيلات الحرب (القلب والميمنة والميسرة). وقد تعرض هذا الطراز الى الإهمال أكثر من (٢٣٠) عاماً، عدا إستعماله في (قصر المشتى) الأموي في الشام، الى أن أحياه الخليفة العباسي (المتوكل) إبن المعتصم (٨٤٧ -٨٦١م)، فإنتشر حتى وصل الى شمال أفريقية[٣].

وتوجد حالياً في المدن العربية العراقية والكُردية الكثير من الدور المشيدة على الطراز السدلي في كركوك وكويسنجق والموصل وبغداد والبصرة وغيرهما. لقد ظن الباحثون أن تاريخ هذا الطراز المعماري يعود الى العهد الساساني، ثم علموا بأنه كان موجوداً في العهد الفرثي (الأشكاني) الأقدم، بدليل إستخدامه في بعض مباني مدينة الحضر. أما أنا فأرجعه الى عهد الدولة الميدية بدليل أن كهف (قزقاپان) الواقع في منطقة السليمانية، الذي يعود تاريخه الى العهد الميدي، نُحت على طراز السدلي (كەلەكى). والكهف هو قبر لأحد الحكام نُحتت على واجهته صورة دكه (موقد) نار ورموز زردشتيه. وهناك أيضاً كهف مريم (شكەفتا مريەمێ) داخل مدينة ئاكرێ - عقره في منطقة بهدينان، نُحت في العهد الأشكاني (الفرثي) على الطراز السدلي. يتكون الكهف من ثلاث غرف متجهة من الجنوب الى الشمال، قياس الغرفة الوسطية والغرفتين الجانبيتين (١٢×١٥,٤) وإرتفاع الغرف(٣) أمتار. لكل غرفة بابها الرئيسي الخارجي مع وجود ثلاثة أبواب داخلية بين الغرف

(٢) بحث للدكتور مصطفى جواد بعنوان (الإيوان والكنيسه في العمارة الإسلامية) منشور في مجلة سومر مجلد ١٥.

(٣) بحث بهذا الخصوص للباحث الراحل ميخائيل عواد منشور في مجلة (الثقافة) المصرية العدد ١٩٩، و٢٠٠ سنة ١٩٤٢. وقد نشرنا مقالاً بالكُردية بعنوان (شيوەى كەلەكى لەهونەرى ئاوەدانكردنەوەى كوردیدا) وذلك في مجلة (كاروان) العدد ٢ السنة ١٩٨٢.

الوسطى والغرفة الشرقية، وبابين بين الوسطى والغربية. وقد تبين لي للوهلة الأولى من رؤية الكهف أنه معبد زردشتي إتخذه المسيحيون بعد ذلك كنيسة لهم(٤).

لقد ذكرت الباحثة (دروثي مكاي) في كتابها (مدن العراق القديمة، ص٢٤) أن الفرثيين هم الذين نقلوا الطراز الحيري (السدلي) الى الحيرة. ويفهم من (ص٢٢) أن طاق كسرى كان على نفس الطراز ولم يبق منه سوى القسم الأوسط. وذكر فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى في (الحضر مدينة الشمس، ص٢٤٢) أن أحد معابدها قد شيد على هذا الطراز، علماً أن المعبد المذكور، ويحتمل أنهما يقصدان (معبد سميا)، قد شيد في العهد الأشكاني (الفرثي). ولم نجد لحد الآن نموذجاً أقدم من نماذج القرن السادس أو النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد. و عليه فإن هذا الطراز المعماري طراز كُردي أصيل إنتشر من كُردستان الى بلدان الشرق وغيرها. أي إنطلق من كُردستان الى بلدان الشرق الأوسط، وهو الطراز الشائع الى اليوم في قرى كردستان العراق خاصة في مناطق أربيل والسليمانية وكذلك مناطق سنه وموكريان وغيرهما من مدن كردستان إيران، إلا أنه يتراجع في المدن حالياً أمام الطراز المعماري الحديث. ولكن الأحياء القديمة في المدن لا زالت تحتفظ بطراز السدلي (كەلەكى). يذكر أن هذا الطراز المعماري له نوعان المقبب والمسطح، كان الثاني شائعاً في مدن كركوك وكويسنجق وكفري. وفي سنة ١٩٩١-١٩٩٢ طرحت فكرة (بل دعوة الى) إحياء نفس الطراز في مشروع إعمار كُردستان من قبل وكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الخيرية، بعد تدمير العراق لحوالي أربعة الاف قرية. فقد أحيت المنظمات الخيرية العالمية نفس الطراز في بناء القرى الكُردية.

لقد تطور الطراز السدلي في منطقة دياربكر، حيث توجد أبنية فيها أيوانان متلاصقان بجانب كل منهما غرفة وأحياناً يلي إحدى الغرفتين أيوان ثالث تتبعه غرفة واحدة كما يشاهد في النموذج الأول في الصورة (ص٥) من كتاب سافجي لبنايات موقع برج الملك (قلعة زەمبيل فرۆش)، أي موقع دار الإمارة الدوستكية. ويشاهد النموذج الثاني في صورة مدينة (لجى - ليجة) وهي الصورة (٢٣٦) من كتاب بسري كونيار. وعندما زرت فارقين لم تكن تلك البنايات موجودة، بل كانت توجد في أماكنها دور حقيرة كما كان قسم من الموقع خالياً من الدور فلطراز السدلي تفرعات.

ولما كان قصر نصرالدولة كبيراً، فإن نواته كانت على الطراز السدلي أو كان الطراز يتكرر في أقسام القصر.

الأَزِج

نوع من الفن المعماري عبارة عن البناء الذي يحمل سقفاً مقوساً. كان هذا الطراز معروفاً في كُردستان في عهد الدولة الدوستكية. فقد ذكر الفارقي أن الوزير أبا الفضل الأنباري وزير نظام الدين دُفن في أزِج كان قد شيد له غرب المسجد عند مشهد على بن أبي طالب بجبل فارقين(٥). والراجح

(٤) في أيار ١٩٩٨ زرت آثار عقرة مدة خمسة أيام وفي خريف السنة نفسها مدة ستة وأربعين يوماً وأخذت آثارها في السفرة الأخيرة (١٤٧٦) صورة فوتوغرافية وعشرين ساعة كاملة بكاميرا ڤيديو.

(٥) نفس المصدر، ص١٨٥.

أن فن الأزج في كُردستان كان أقدم من العهد الدوستكي، بإعتباره من الفنون المعمارية القديمة في الشرق الأوسط. وقد أشار العلامة مصطفى جواد الى أنه من مبتكرات السومريين(٦).

القباب

من الفنون المعمارية التي إستخدمتها الدولة الدوستكية في البناء فن القبة كقباب الأضرحة، مثل قبة الأمير علي التي شيدت على ضريحه في مدينة أرزن عند رأس الجسر، والتي دُفن فيها مهدالدولة أيضاً، وقبة (بني مروان) في المحدثة في الجانب القبلي خارج سور فارقين والتي شيدتها (ست الملك) على ضريح والدها نصرالدولة ودُفن فيها نظام الدين أيضاً. وهناك أيضاً القبة التي شيدتها (ست الناس) على ضريح زوجها ناصرالدولة منصور في مدينة دياربكر، وقبة باب الجبل في مدينة الجزيرة، التي دُفن فيها الأمير بهرام بن نظام الدين، والقبة التي شيدها مهدالدولة وسط (عين زعور) وتسمى الآن (أنزل – عين الزلال)، وذلك عند (باب الروم) أي باب أورفا (الباب الغربي) لمدينة آمد. وذكر إبن شداد في (الأعلاق الخطيرة، ورقة ٦٨) بأن العين المذكورة تقع خارج السور وهذا خطأ، لأنها تقع داخله في الجانب الشمالي من مسجد وجامع بالكلي.

وأما شكل القباب الدوستكية، فلم تصل إلينا معلومات عنها فلانعلم لذلك هل إنها كانت بيضوية أو بصلية أو برجية أو مخروطية، كما لانعرف كذلك شكل قاعدتها مدورة كانت أم مربعة أم مثمنة الجوانب أم غير ذلك. ولاندري كذلك مدى تشابه تلك القباب مع تلك التي شيدت بعد العهد الدوستكي الموجودة في خلاط وأرضروم وولاية وان، وهي من أجمل القباب في العالم الإسلامي. وبعض تلك القباب مزخرف زخرفة بديعة جداً مثل قبة أرغن خاتون وقبة هوستا شاكر في خلاط وقبة حليمة خاتون عند مدينة وسطان وصورتها في الصفحة التالية(٧).

يحتمل أن القباب الدوستكية كانت تمثل نموذجاً للفن الكُردي في القباب، وكانت ذات صلة بالقباب الموجودة في كُردستان قبل العهد الدوستكي، مع العلم أن تاريخ تشييد القباب في كُردستان يرجع الى ما قبل الإسلام. فقد كانت الكثير من البنايات قبل الإسلام في أرمينيا (التي تشمل قسماً غير قليل من كُردستان الوسطى وبلاد ما بين النهرين وفارس...) تعلوها القباب(٨). علاوة على ذلك يرى العديد من الباحثين مثل المس بيل ورابراكوس وكذلك تامارا رايس كما ورد في (السلاجقة، ص١٧١)، أن شكل القباب المخروطية التي إعتبرت من الطراز السلجوقي مأخوذ من خيام الكُرد وبدو آسيا الوسطى، فضلاً عن أن أصل هذه القباب وجد في أرمينيا لصلته بأبراج كنائس الأرمن.

(٦) مجلة سومر العدد ٢٥. راجع أيضاً عطا الحديثي وهناء عبدالخالق، القباب المخروطية في العراق، ص٩.

(٧) تقع هذه القبة العظيمة ذات الطابقين والروعة الفنية علي ساحل (بحيرة وان) مباشرة. شيدها الأمير الكُردي الهكاري عزالدين (بن مجلى بن أسدالدين بن منكلان) سنة (٧٣٦هـ = ١٣٣٥-١١٣٦م). هي أقدم من قبة أرغن خاتون التي شيدت سنة (١٣٩٧م). بين القبتين شبه كلي أو كبير في الزخرفة والسقف المخروطي والقاعدة المثمنة. والمعمار الذي بناها كان (أسد بن هاوند) الخلاطي على ما هو مكتوب فوق إحدى نوافذها. صورتها في آب ١٩٧٧.

(٨) أحمد فكري، مساجد الإسلام، ج١، مسجد قيروان، ص١٠١.

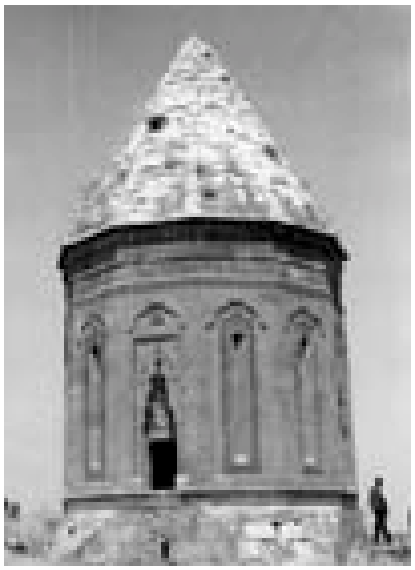

قبة حليمة خاتون

المنظرة

هي عبارة عن (كشك) عالٍ يطل على ماحوله أو على جهة من الجهات، كان الملوك يجلسون فيه للنزهة مع ندمائهم. كانت (المنظرة) موجودة في مصر أيضاً ولا شك بأنها، بسبب وظيفتها، كانت تتمتع بصفات معمارية جميلة.

لقد شيدت الدولة الدوستكية منظرتين في العاصمة فارقين. الأولى شيدها نصرالدولة، عندما شيد قصره (دار الإمارة) في موقع برج الملك كجزء من القصر أو مستقلاً عنه. وكان قد بوشر ببناء القصر في سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٣م). ذكر الفارقي في (ص١٠٧) أن المنظرة، والتي سماها المنظرة العتيقة (لأن نظام الدين شيد منظرة جديدة) كانت تطل على الربض أي على الأراضي الواقعة في شمال المدينة بينها وبين الجبل)، فقد ذكر في (ص٢٠٤) أن نظام الدين كان جالساً فيها في إحدى الليالي المقمرة يشرب فيها ومعه (إبن عيسون). فخرج المنجم ونظر الى المدينة وعمارتها والى إشراقة سورها والى الربض وكثرة بساتينها. فقال لنظام الدين ما أحسن هذا البلد وأكثر العمارة التي فيه، ولكن الطالع يقضي أن الظلم والخراب سيستوليان عليه بعد زوال دولتك. فيُعلم من هذا بأن هذه المنظرة كانت على قوتها، لأن نظام الدين عندما كان جالساً فيها كان قد مرّ على بنائها أكثر من ستين سنة.

وفي رأيي أن جزءً من تلك (المنظرة العتيقة) لازال موجوداً حتى الآن. وهو البرج الصامت (غير المجوف) البارز عن مستوى السور الى أمام والمشيد بالحجر الأبيض، مثل باقي السور المسمى حالياً بقلعة زنبيل فروش (كەلها زەمبيل فرۆش)، الواقع بين التل في الزاوية الشمالية الشرقية من السور

قلعة زنبيل فروش

الذي كان عنده (باب الشهوة) وبين (باب الهوة) الذي عليه كتابة بإسم نصرالدولة. وهو ليس برجاً حقيقياً، وإنما هو جدار برجي وطلعة في السور نحو الخارج بمقدار عدة أمتار تطل على الربض. وهي تعتبر الآن أعلى نقطة مما تبقى من سور المدينة. ويحتمل أن إرتفاع المنظرة كان في وقته حوالي (١٥) متراً أو أكثر، ولكن قسماً من قمتها قد تهدم. وفي الجزء الأعلى منها شباك طولي، ولايوجد طريق الى قمته وتوجد عند مستوى بداية الشباك من الداخل آثار جدار سور أو بناية كانت ملتصقة به، كما يتضح من هذه الصورة التي أخذناها.

كان السكان يسمون هذه المنطقة من السور بـ(شادور) مما يحتمل أنه جاء من (شاذروان)، أي (المنظرة)، الذي يعطي معنى مشابهاً لمعنى المنظرة في إطلالتها على الجهة المقابلة. وقد نُحت وجه أحجار على مستويين، ولا يستبعد أنها جُددت في وقت ما، بحيث أن وسط الحجر أبرز من أطرافه. بحيث كوّن شكلاً مربعاً أو مستطيلاً متقدماً الى الأمام، ويوجد الطراز نفسه في أماكن أخرى من البناية أو البرج المخمس القريب من قلوفح جنوباً أي في الزاوية الجنوبية الشرقية من برج الملك وعليه كتابة بإسم نظام الدين نصر بن أحمد بن مروان، وأخرى بإسم الملك الكامل الأيوبي مؤرخة سنة (٦٤٩هـ) وفوق الكتابة صورة لأسدين بينهما (قرص الشمس). إن الأجزاء المشيدة بهذه الأحجار تعود الى ترميمات أجريت بعد العهد الأيوبي. ويحتمل أن البناية اليمنى في صورة سليمان سافجي العالية، وهي بعرض غرفة واحدة فيها شباكان في جداره الجنوبي (لم تبق الآن) – تجديد للمنظرة. علماً بأن هذا البرج (قلعة زمبيل فروش) الذي يشبه منارة مربعة لم يُبنَ لغرض دفاعي وإنما للزينة(٩)

ولايبعد كثيراً عن الزاوية الشماليه الشرقية للسور وإنما هي بقربها. والثانية، أي المنظرة الثانية، شيدها خامس الملوك الدوستكيين نظام الدين بن نصرالدولة فوق برجين صغيرين داخل باب المدينة. أي فوق الباب الخلفي لباب قلوفح (باب كولفا - دەرگەهێ كولفا) الشرقي، أي الباب الواقع في السور الثاني (السور الداخلي الذي يقع خلف السور الخارجي وخلف الباب الخارجي بخمسة أمتار ونصف). وكان قد تم تركيب مرآة كبيرة في المنظرة أقيمت للزينة. وقد أشرف على بناء هذه المنظرة وتركيب المرآة القاضي أبي الحسن أحمد بن البغل مدير المنظرة والسور، حسبما ذكره الفارقي في (ص١٠٧) وكذلك إبن شداد في (الأعلاق الخطيرة، ورقة ٧١).

شاهد ياقوت الحموي أثناء زيارته الى فارقين سنة ١٢٢٥م آثار المرآة وقال في (معجم البلدان، ج٤، ص٧٠٤) أن البرج سمي برج المرآة، لما كانت عليه مرآة عظيمة يشرق نورها إذا طلعت الشمس على ماحولها من الجبال. وأضاف إن بعضاً من ضباب الحديد لا يزال موجوداً في البرج. مما يدل على إستخدام الحديد في بناء المنظرة أو في تركيب المرآة فقط على المنظرة. وقد شاهد إبن شداد أيضاً في القرن الثالث عشر آثار الحديد في المنظرة المشتملة على المرآة. وكان هذا الباب موجوداً الى النصف الأول من القرن العشرين حيث في كتاب بيسان أوغلو (ص١٤٤) صورته في الصفحة التالية.

تشاهد على الباب غرفة حديثة نوعاً ما ذات أربعة شبابيك، شُيدت في مكان المنظرة مع بقاء عدد قليل من أحجار المنظرة في القسم الأسفل من جدار الغرفة الأيمن. ومن المحتمل أن المنظرة كانت سالمة حتى عهد إبن شداد. ولكن المرآة لم تبق الى عهده، بل لم تبق حتى الى عهد الحموي الذي شاهد المكان الذي نُصبت عليه وآثار الحديد فيه. ولم يذكر كلاهما المنظرة ولا يستبعد كونها قد رممت أو جُددت في القرون التالية أيضاً. ولاشك بأن قسماً واحداً على الأقل من المنظرة قد بقي الى أن تم

(٩) قصة زمبيل فروش (بائع السلال) من أشهر القصص الكُردية. هي قصة صوفية تدور حول أحد الأمراء الذين ترك الدنيا والثروة وأخذ يبيع السلال متجولاً في المدن الكُردية. كان المذكور شاباً جميلاً تراه زوجة أحد الأمراء في فارقين في قلعة (زەمبیل فرۆش) أي (قصر نصرالدولة) فتدعوه الى داخل القصر بحجة شراء السلال منه، ثم تراوده عن نفسها، فيأبى ويلقي بنفسه من على القلعة الشاهقة وينزل الى الأرض دون أن يتأذى.

وللقصة نص باللهجة الكرمانجية الشمالية دوّنها مرادخان البايزيدي، ولها نص بالكرمانجية الجنوبية (سۆرانی) دونها المرحوم حاجي جندي من كُرد أرمينيا. وقد ذكرها (بسري كونيار في ج٣، ص٣٠٨ و٩١) وقال إن القصة في الأصل عبارة عن فاجعة (محمد بن أبي الصقر) أحد وجهاء فارقين والمناوىء لحكم الأمير أبي علي حسن بن مروان، والذي ألقاه أبو علي من على السور ومات، وذلك سنة (٣٨٤هـ = ٩٩٤م) على ماذكرناه في الجزء الأول، ص١٣٣، الطبعة الأولى. وفي جريدة (هاوكاري) العدد ١٨٨ والصادر في ١٩٧٣/١٠/١٢ نشرنا مقالة بخصوص جذور القصة التي حدثت في فارقين ولها علاقة بتاريخ الدولة الدوستكية. أما المكان الذي أُلقي منه إبن أبي الصقر من فوق السور، فلم يكن هذا المكان لأنه يفهم من كلام الفارقي (ص٦٨) ان ذلك المكان كان برج باب المدينة أو بالقرب منه. وعند ذكر باب المدينة غير مقيد بباب دمعين- يقصد به (باب أرزن) الواقع في غرب الزاوية الجنوبية الشرقية من السور بمسافة حوالي مائة متر أو أقل. أما (باب الهوة) الذي بقرب من زمبيل فروش غرباً، فكان مسدوداً مع (باب قلوفح) في عهد أبي علي، بينما كان كل من (باب الربض) في الزاوية الشمالية الغربية و(باب باقوسي) بعيداً عن قلعة زمبيل فروش ويحتمل أن يكون المقصود (باب الربض) حيث كان الربض ينتهي بالجبل بمنبع ماء المدينة (وفيه ينابيع أخرى غير كبيرة) المكان المناسب للإحتفال بالعيد. بخصوص تلك الأبواب راجع (الفارقي، ص٨٦).

باب كولفا - المنظرة والمرآة

تشييد الغرفة المذكورة في مكانها. هذا مع العلم بأن الآثار والتراث لم يتضررا في العهود السابقة قدر الضرر الذي لحق بهما الى ستينيات القرن العشرين في بلدان الشرق الأوسط، وخاصة في بلد مثل كُردستان نتيجة لإنعدام الوعي لدى سكانها وقلة إهتمام دولها بالآثار والتراث.

ومن المؤسف أني لم أجد لهذا الباب، الذي كانت عليه المنظرة ومرآتها، أثراً سنة ١٩٧٧، لأنه قد تعرض للهدم من قبل بعض الجهلاء من السكان الذين أرادوا أن يبنوا لهم محله داراً قبيحة كقبح ضميره. ولذلك فقد فقدنا المميزات المعمارية التي كانت تتحلى بها المنظرة.

وأما جامع فارقين الكبير، فبسبب الترميمات التي أجريت عليه، ضاعت تفاصيله المعمارية العائدة للدولة الدوستكية عدا بعض التجويفات الداخلية في السقف بالقرب من النهاية الغربية منه، التي تعود الى العهد الدوستكي وكانت تستخدم لنقل صوت الإمام الى أرجاء الجامع الفسيحة. وعندما بوشر بتجديده في العهد الأرتقي جرى إحياء طراز التجويفات في الأقسام المتهدمة من الجامع للغاية نفسها. ويوجد في الجدار الشمالي وتحت إفريز المقنطرات على الأقل بابان يعودان الى ما قبل العهد الأرتقي، وهما مثيران للإهتمام معمارياً، كما ترى من صور بسري كونيار (٢٠٥-٢٠٧). ولكني لا أستطيع البت بكونهما من العهد الدوستكي، وذلك لأنهما مشابهان لباب كنيسة مريم البيزنطية في مدينة دياربكر. أما جامع نصرالدولة في دياربكر والذي مر بأدوار تعميرية عدة، فلم أتمكن من دراسته عندما رأيته، دراسة دقيقة.

وبهذه المناسبة تجدر الإشارة الى أنه نشأ في كُردستان معماريون مهرة، وتشهد على إبداعاتهم ما خلفوه من آثار رائعة من المباني والقلاع والأسوار والمساجد والقباب والمنارات والجسور وغيرها، كقلعة

بدليس وسور دياربكر والجامع الكبير وجسر باطمان والمنارة المعلقة الحجرية المشيدة على أربعة أعمدة حجرية في دياربكر، وجسر باطمان وقباب خلاط وكذلك المدرسة الياقوتية والخاتونية (جفته مناره) في أرضروم، والمدرسة الزنجيرية في ماردين، وهذه المدارس التي تزينها الزخارف البديعة وغيرها من الآثار التي تعود الى القرون الوسطى.

كما قام معماريون مهرة من كُردستان ببعض الأعمال البنائية في الخارج، وشيد هؤلاء آثاراً يعتبرها علماء الآثار ومؤرخو الفنون الإسلامية من الآثار الرائعة في فنها المعماري. ففي النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي، أي في العصر الدوستكي، إستعان بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي (المستعلي) بثلاثة أخوة معماريين من سكان مدينة الرها (أورفه) بإقليم دياربكر، في تجديد ثلاثة من أبواب سور القاهرة، وقد بنى كل منهم باباً منها(١٠). كما شارك بعض من سكان نصيبين في بناء الدير القبطي المعروف بالدير السرياني في وادي النطرون بمصر، والذي يزخر بالزخارف الجميلة المتأخرة عن العصر الطولوني(١١)، أي بعد القرن التاسع الميلادي. وقام الحاج منجبرتي الخلاطي بصنع منبر جامع علاء الدين في مدينة قونية عام (٥٤٠-٥٤١هـ = ١١٤٥-١١٤٦م)، ولايزال هذا المنبر قيد الإستعمال ويعتبر واحداً من الآثار الفنية، وأسم صانعه مكتوب عليه(١٢).

وفي عام ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م) بنى خرامشاه بن مجيد الخلاطي بالإشتراك مع أحمد إبراهيم التفليسي البوابة الشمالية ذات الروعة الفنية للجامع الكبير في ديوريغي(١٣). وقام هذان البنّاءان في نفس السنة ببناء مستشفى الأمراض العقلية في نفس المدينة، وهو فريد في طراز بنائه، ولعل أحسن وصف له هو أنه زاه كثير الألوان والزينة أكثر من كونه عملاً غريباً كثير الزخرفة(١٤). لقد نشأ في خلاط كثير من المعماريين والنقّاشين، مثل قاسم بن استاذ علي ويزد بن فاتح وأصيل بن ويس وهاوند بن برگي وقاسم بن محمد(١٥).

هذا وللبنائين في ماردين وطورعبدين شهرة فائقة في مهارتهم المعمارية في تشييد القصور الحجرية، ومعظمهم من المسيحيين. وقد إشتهر منهم في الماضي هوستا حهنه (حنا) من البنائين ولاسيما بعد أن شيّد (برجا بهلهك) من قلعة الجزيرة. فأصبح هذا مضرب المثل للبنّاء الكُردستاني الماهر حتى الآن، ولذا يتردد إسمه كثيراً في الأغاني الكُردية الشعبية. أما سكان خلاط فلا زالوا يحتفظون بما إشتهر به أجدادهم أو قدماءهم من فن العمارة. ويحتمل أن سكان كُردستان تركيا إستفادوا في العمارة من الآراميين والبيزنطيين القدماء، حيث كان فن العمارة راقياً في المناطق العربية منها. ويذكر التاريخ أن الملك الساساني (قباد الأول) لما إستولى على مدينة دياربكر (آمد)

(١٠) الدكتور جمال الدين سرور، مصر في عهد الدولة الفاطمية، ص٧٨.

(١١) دكتور زكي محمد حسن، الفن الإسلامي في مصر، ص٧٢.

(١٢) تمارا رايس، السلاجقة، ص٢٢٦.

(١٣) نفس المصدر، ص٢٣٢ فيه صورة لقسمين من البوابة.

(١٤) نفس المصدر ص١٦٥، ورد هنا - كورامشاه الجيلاني الخلاطي.

(١٥) في كتاب AHLAT MEZAR TASLERI لبيهان قره مغاره لري أسماء عشرين بنّاءً ونقّاشاً من خلاط.

في أوائل القرن السادس، دخل حماماتها فأعجب كثيراً بعمارتها وتنظيمها، فأمر ببناء حمام على نفس الطراز في كل مدينة من مدن فارس(١٦).

ومن الجدير بالذكر ان الفن المعماري في كُردستان تركيا أرقى من أمثاله في باقي مناطق كُردستان. فدور الفلاحين على سبيل المثال في مناطقها، وخاصة الجبلية منها، لا تقاس بمثيلاتها في مناطق أربيل وكركوك والسليمانية، عدا منطقة هورامان، من حيث المظهر والمتانة. وكثيراً ما تجد دوراً جميلة ذات طابقين في حين أن أصحابها فلاحون صغار. ولم تكن هذه المهارة المعمارية حديثة، بل موروثة من الأجيال الغابرة. وأخيراً لم يصلنا من أسماء البنائين في العهد الدوستكي سوى عدد قليل منهم نصير بن حبيب وعبيد بن (سفجر؟) وموسى بن مزيد وأبو سعد بن (حميض؟).

الزخرفة

إستخدمت الدولة الدوستكية زخارف مختلفة في تزيين عماراتها وآثارها، ولعل القصر الدوستكي الذي شيده الأمير نصرالدولة سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٢م) من أهم عماراتها المزخرفة. فقد أولي إهتمام كبير لزخرفته، حيث ذكر الفارقي بأن القصر زُوق وأُجري في حيطانه وسقوفه الذهب(١). أي زينت بزخارف من ذهب، كما مر من نص كلامه في موضوع فن العمارة. أما جامع العجم أي الجامع الكبير في فارقين، والذي جدد عمارته نصرالدولة، فكان يضم زخارف بديعة. أما سور مدينة دياربكر (آمد)، فلا تزال أقسام منه تضم الكثير من الزخارف الدوستكية الدقيقة في فنها، والتي بلغت أرقي مستوى في فن الزخرفة. هذه الزخارف التي أبدع فيها الفنان الكُردستاني الدوستكي هي الموجودة في الأشرطة الكتابية على عدد من أبراج وأقسام السور. وقد نالت تلك الأشرطة والأفاريز الكتابية الكوفية بزخارفها ومادتها الكتابية عناية الباحثين وفي مقدمتهم المستشرق السويسري (فلوري) وأستاذه (ڤان برشم)، حسبما ذكرناه في موضوع تطور الكتابة الكوفية.

أما الباحث (ديماند)، فقد إعتبر تلك الزخارف من فنون النحت الراقية حينما قال: "ومن حسن الحظ أن المؤرخ من تاريخ دياربكر يكشف عن مدى التطور الذي أصاب فن النحت الإسلامي وفنون الزخرفة بصورة عامة في العصر السلجوقي. فبينما جرت عادة الفنانين في العصر العباسي على كتابة الخط الكوفي على أرضية خالية من الزخرفة، فإننا نجدهم في نقوش دياربكر في عهد المروانيين (أي الدوستكيين) ينهون الحروف الكوفية بتفرعات نباتيه مورقة. وتاريخ تلك النقوش هو ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٦هـ".

ثم يذكر ديماند أن السلاجقة هم من إبتكر الزخرفة الحيوانية في الكتابات الكوفية بدياربكر(٢). ولكن الباحث المذكور لا يعلم بأن السلاجقة ليسوا مبتكريها، وإنما إبتكرتها الدولة الدوستكية ومنها

(١) آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ٢١٧.
(٢) الفارقي، ص١٠٧.
(٣) ديماند، الفنون الإسلامية، ص١٠٠.

إنتقلت الى السلاجقة في آثار دياربكر ودليلنا على ذلك الرسوم الحيوانية التي نجدها في الكتابات الدوستكية، والتي تعد دليلاً آخر على إهتمام الدولة الدوستكية بالزخرفة والنحت.

لقد كان الفنان الدوستكي موفقاً في التكثير من تنويع الزخارف وفي الإبداع الفني، ولهذا إستطعنا أن نشخّص في عدد قليل من الأشرطة الكتابية واحداً وخمسين نوعاً من أنواع الزخرفة النباتية، كما يتضح من لوحتي الزخارف، وهما منقولتان عن لوحتين للكتابات الدوستكية نشرناهما في موضوع تطور الكتابات الكوفية المزخرفة، فراجع هناك(٤).

الرسوم الحيوانية

لم يحصر الفنان الدوستكي إهتمامه بالزخرفة فقط، بل وزعه بين الزخرفة والنحت. والمقصود بالنحت هنا الرسوم الآدمية والحيوانية المنحوتة على الأحجار. ورغم إندثار العديد من الآثار والعمارات الدوستكية، إلا أننا نجد عدداً من هذه الرسوم على آثارها الباقية، وهي رسوم دقيقة تشهد على مدى دقة وبراعة الفنان الدوستكي في النحت والتصوير. وبخصوص موضوعنا (النحت)، يوجد رسم لأسد على جسر دياربكر الذي شيده الأمير نظام الدين على نهر دجلة سنة (٤٥٧هـ = ١٠٦٤م). ويمثل الرسم أسداً متجهاً لليمين رافعاً ذيله نحو ظهره ولسانه طالع كأنه يلهث. ولعل الفنان أراد عن طريق تصوير لسان الأسد خارجاً من فمه أن يرمز الى ضرورة الماء للحياة أو أن له معنى آخر. وعلى الجنب الأيمن للأسد صورة رمز يشبه مثلثين قاعدتيهما مرتبطتين بخط. وقد علّق (ماكس ڤان برشم) على هذا الرسم وتساءل عما إذا كان شعاراً للدولة الدوستكية. وأورد ڤان برشم وكذلك بسري كونيار صورة لهذا الرسم، وأشار الى وجود رسم لأسد مماثل على أحد الأبراج عند باب خربوت شيده الأمير ناصرالدولة منصور سنة ٤٧٦هـ(٥) كما ذكرنا في موضوع (شعار الدولة).

لقد وجد ڤان برشم رسوماً حيوانية من العهد الدوستكي على سور فارقين أيضاً، وقال عنها: "توجد على السور أشكال على هيئة نجمة البحر وبها خمسة فروع على بابين صغيرين (أي رأس كل فرع) رسوم على شكل عصافير وقد تركها المروانيون (الدوستكيون) فيما يسمى بـ(ركن محراب) حفراً في صخور السور". وأضاف ڤان برشم بأنها من خصائص الفن المرواني(٦).

وتوجد صورة لهدهد أيضاً في الكتابات الدوستكية على برج مربع من سور دياربكر في الشريط الكتابي المؤرخ سنة (٤٦٠هـ) من عهد نظام الدين. والهدهد في الصورة متجه نحو اليسار وقد وضع رجليه على حرف العين من كلمة (وأربعمائة) في نهاية الكتابة. ويكوّن ذلك الرسم لصغر حجمه

(٤) ساعدنا مشكوراً الفنان الكُردي دارا محمد علي الأربيلي بنقل الزخارف عن الأصل، أي عن اللوحتين اللتين تجد صورتهما في الموضوع المشار اليه، وقد بذل جهده لكي تكون طبق الأصل، ولو أن الزخارف الأصلية كانت أدق بكثير.

(٥) ص٣٤ من: .Van Berchm / Amida . Besri Konyar / Diyarbakir Tarikhi، ج٢، ص٣٤، ٣٦، والصورة نقلناها من المصدر الأخير وهي الصورة رقم (٢٥).

(٦) نفس المصدر الأخير، ص٣٤.

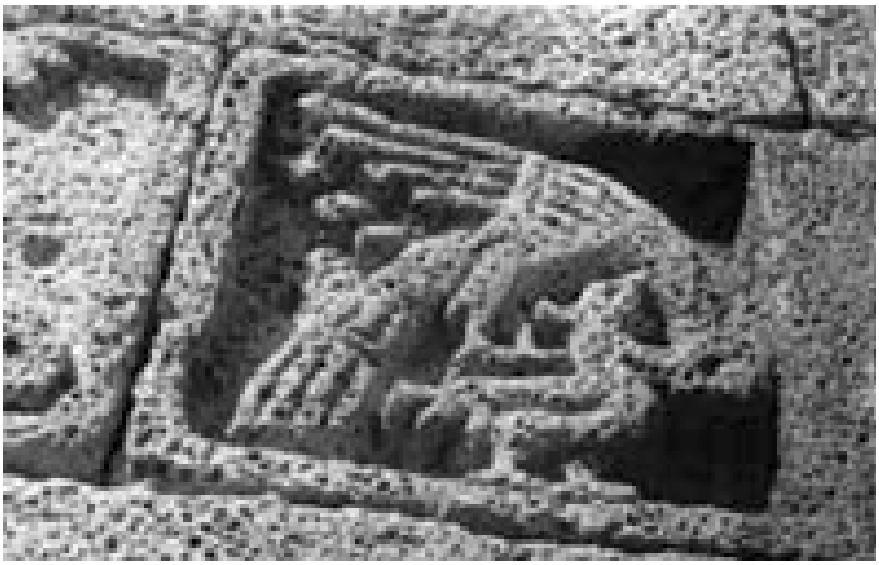

النسر والحمامة

زخرفة حيوانية للكتابة، كما أشرنا اليه في موضوع الزخرفة، وهو في غاية الإتقان والإبداع الفني. فقد إلتجأ الفنان الى مميزات عديدة لإبراز مكانة الهدهد في مجال الإعتقاد الشائع فيه من قبل المجتمع إبتداءً بالمنظور الجوي، أي إمتلاكه البعدين (أي من الجانب والفوق)، ثم أسلوب مطابقة الطبيعة وعدم الإلتجاء الى التجريد في أعضاء جسم الطير. وإختار الفنان رسم الهدهد في كتابة تضم اسم نظام الدين، ليرمز الى سياسته الحكيمة في معالجة المشاكل، مثلما كانت تعالج بالهدهد أمراض عديدة نفسية وغير نفسية.

ويوجد أيضاً رسم عصفور منحوت في كتابات دوستكية على سور دياربكر صورها ڤان برشم، ولكن تاريخها غير واضح بسبب التشويه. والرسم منحوت فوق الكلمة الثانية أو الثالثة من السطر الثاني من الكتابة، وأظن أن ڤان برشم لم يذكر هذا الرسم أيضاً(٧).

وتوجد على سور قلعة دياربكر المسماة (إيچ قلعه)، الواقعة في الضلع الشرقي من السور، كتابة كوفية من عهد الأمير نظام الدين بن نصرالدولة مؤرخة في سنة (٤٦٤هـ = ١٠٧١م). وقد نُحتت في بداية الكتابة صورة نسر وحمامه، وفيها وضع النسر رجليه على ظهرها وهو آخذ برقبتها بمنقاره ليفترسها. الصورتان تم نحتهما بدقة فنيه تشهد على مهارة الفنان، وقد صورناهما في ١٩٧٧/٨/٢١ مع صورة شريط الكتابة الطويل، وبين الكتابة نجمتان إحداهما سداية والأخرى خماسية، وفي أعلى الصفحة صورة النسر والحمامة.

(٧) رقم صورة الكتابة المذكورة في آميدا ١١:١٢، وقد عرضت الصورة على عدد من ذوي الإختصاص في مديرية الآثار العامة ببغداد لغرض قراءة الكتابة، ولكنهم لم يتمكنوا من تشخيص تاريخها.

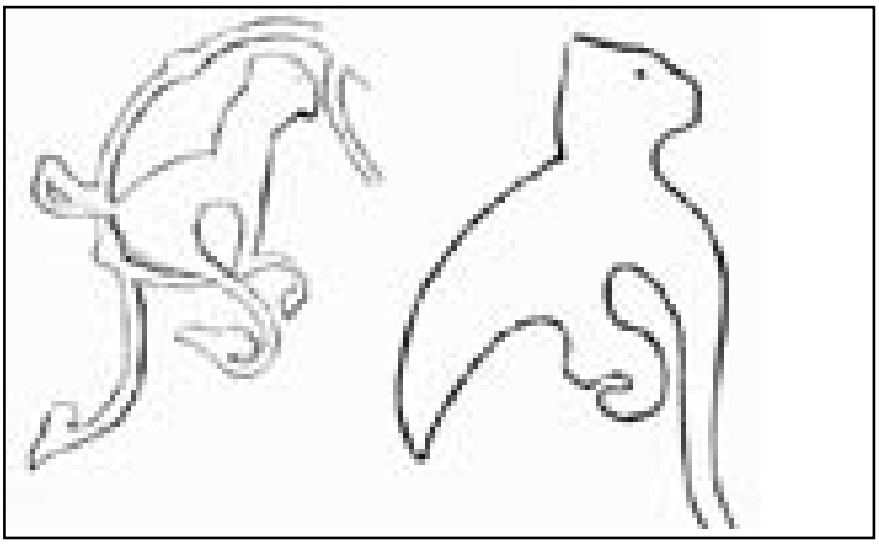

صورة تجريدية للنمر وحيوان آخر بين زخارف الكتابات

وتجدر الإشارة الى وجود صورة للشمس مشعة في كتابة سنة (٤٣٧هـ) التي فيها إسم نصرالدولة وولده سعدالدولة أبو حسن، موجودة على أحد الأبراج الواقعة في شرقي (كچي برجو) من سور دياربكر، كما سيأتي نص الكتابة.

رسوم تجريدية

من الرسوم المنحوتة على الآثار الدوستكية أيضاً، رسم (نمر) بأسلوب تجريدي بين الزخارف النباتية اللولبية، وذلك في الكتابة المؤرخة (٤٤٤هـ) الموجدة على سور دياربكر من عهد الأمير نصرالدولة. والرسم المذكور صغير الحجم بحيث أن الباحثين لم يتمكنوا من تشخيصه من بين الزخارف، وقد رسمه الفنان بشكل تجريدي بديع بحيث تنتهي كل من يد النمر ورجله اليمنى بفرع نباتي وكذلك ذيله. وقد مزج النحات بين أعضاء جسم النمر والفروع النباتيه. ويمثل هذا الرسم أيضاً عنصراً زخرفياً حيوانياً للكتابة.

إختار الفنان النمر، لأنه رمز للقوة وخفة الحركة. ومن الجدير بالذكر أن الرسم يأتي في أوائل السطر الأول من الكتابة، التي مضت صورتها في موضوع تطور الكتابة الكوفية المزخرفة. ويوجد رسم تجريدي لحيوان آخر رأسه يشبه رأس حيوان سنوري، غير أن له جناحان ينحدر أحدهما ليتلاصق بحرف الميم من كلمة (بعمله) من السطر الأول من الكتابة المؤرخة بسنة (٤٢٦هـ)، التي أدخلنا صورتها في موضوع الكتابة الكوفية أيضاً. لقد ذكرنا في موضوع العملة الدوستكية أن نهاية بعض الحروف من كتابات النقود تنتهي برأس البط أو الوز.

لاشك أن الدولة الدوستكية قد تركت آثاراً فنية معدنية وخشبية كالأبواب والتحف. ويشير الفارقي أكثر من مرة الى باب من النحاس سماه (باب الصفر)، صنعه نصرالدولة خصيصاً لباب قصره بمدينة النصرية، التي شيدها على الضفة الشرقية لنهر باطمان، وكتب عليه إسمه مما يدل على أهمية هذا الباب في صنعه وفنه. وقد وجده الفارقي على باب جامع فارقين كما ذكرنا(٨).

ويظهر أن الصناع في كُردستان قد تفننوا في صنع الأبواب المعدنية، مثل باب كنيسة فارقين الحديدي المشبك الذي أعجب به الرحالة الفارسي ناصر خسرو، وأكد على انه لم يجد له مثيلاً في اي مكان آخر. ووجد ايضاً باباً من الحديد على أحد أبواب مدينة فارقين من جهة الغرب وأضاف ان هذا الباب يعلوه طاق حجري(٩).

تخطيط وتجديد مدن

قامت الدولة الدوستكية بإنشاء الكثير من المشاريع العمارانية في بلادها، من تخطيط مدن وبناء قصور وفنادق وخانات (الرُبط) وحمامات ومساجد وبناء المساجد والجسور، وقنوات الماء وتشييد التحصينات الدفاعية كالقلاع والأسوار. وقد حصل في عهد الدولة الدوستكية حركة عمرانية نشيطة أشار إليها الطبيب ابن بطلان بإشتغال الناس في (الرزوجار) أي العمل في البناء كما ورد ذكره في أوائل موضوع الحالة الإقتصادية.

لقد وصل الينا ذكر عدد من تخطيط وتجديد مدن كانت من معالم حضارة كُردستان الوسطى في العصر الدوستكي، منها ما ظل خالداً حتى اليوم رغم مرور ما يقرب من ألف سنة عليها، وقد أشرنا الى بعضها في مناسبات اقتضت ذلك. ومن تلك المشاريع:

مدينة النصرية

باشر الملك الدوستكي نصرالدولة ببناء مدينة له على ضفة نهر باطمان الشرقية سماها (النصرية) نسبة الى لقبه نصرالدولة أو كنيته ابي نصر. وإختار لتخطيط المدينة موقعاً يمتاز بجماله الطبيعي لاسيما وقت الربيع. وكان يقضي في كل سنة فصل الربيع في المدينة . وقد وفر في هذه المدينة أسباب العيش والرفاهية والنزهة. وقد أعجب المؤرخ الفارقي بهذه المدينة، فقال في (ص١٤١) بصدد بنائها وبناء أماكن في الطريق للإقامة فيها أثناء سفره إليها ما يلي: "... بنى نصرالدولة النصرية وأحسن عمارتها وبنى قصراً مليحاً على جانب الشط، وعمل فيها الأسواق والحمامات والدور وبنى لكل من بني عمه وأولاده دوراً وتدبرها جماعة من الناس وعمل دولاباً على الشط ورد الماء اليها وعمل

(٨) الفارقي، ص١٤١، ١٤٥.

(٩) ناصر خسرو، سفرنامه، ص٤٨. راجع أيضاً لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٤٣، و١٤٠-١٤١. لعل الباب الذي يعلوه طاق حجري هو باب القصر العتيق وسمي قديماً أيضاً باب الفرح والغم، وكانت عليه منحوتتان، راجع الجزء الأول، ص٧٨، ٨٠.

البساتين والبرك... وعمل (باب الصفر) الذي هو اليوم بالجامع وركبه على باب قصره وعمل فيها كل ما يراد. وهو أنزه الأماكن وأحسنها. وكان الأمير زمان الربيع يخرج هو وأولاده وجواريه ونساؤه أجمع وأصحابه وبنو عمه الى النصرية ويقيمون بها في تلك المروج والأزهار مدة الربيع... وكان أول يوم يسيرون من المدينة الى القرية المعروفة الآن بباطري وهناك مسجد وفندق أثره باق الى الآن على النهر(١). فيقيمون يومهم ثم يصبحون فيسير في اليوم الثاني رجاله الى أسفل النهر عند (بابودين) وقد بنى الوزير فخرالدين بن جهير المسجد الذي يعرف بمسجد الشيخ الى اليوم وفندقاً وداراً وحماماً، فيقيمون يومهم ويصبحون من غدوة فيسيرون الى الجنينة فيعبرون الجسر ويقيمون بجانب الشط الشرقي وكان بنى هناك على رأس الجسر عند تل بنان مسجداً وفندقاً فيقيمون يومهم ويصبحون فيسيرون من غدوة الى النصرية ويتفرجون في الطريق على المروج والأزهار والصحارى ويقيمون بالنصرية هذا الربيع الى أن يحمى الحر ويعودون الى المدينة".

لم يحدد الفارقي وغيره تاريخ بناء النصرية، والأرجح عندي أن نصرالدولة بناها في أواخر عشرينات أو أوائل ثلاثينات القرن الخامس الهجري، أي في الفترة من (١٠٣٦-١٠٤١م). ولهذا فإن ما حددناه من تاريخ بنائها بسنة (٤٢٣هـ) في الجزء الأول من كتابنا هذا خطأ. وقد إستفسرت من العديد من سكان فارقين عن مكان النصرية وعما اذا كان هناك إسم قريب لها، وخاصة من الأستاذين الملا محمد المفتي مفتي فارقين(٢) والملا عبدالهادي إمام الجامع الكبير بفارقين وإبن العلامة الشهير الملا حسين كچك(٣) فأجابا بأنه كانت هناك بليدة بإسم (ألمدينا) كانت تقع على ضفة نهر باطمان وكانت مركزاً لناحية. ولكن جرفتها مياه نهر باطمان قبل عشرين سنة فتم إتخاذ باطمان مركزاً لتلك الناحية. ولهذا يحتمل جداً أن (ألمدينا- مدينا) كانت هي مدينة النصرية، لأنها كانت تقع في نفس البقعة أو الموقع التي كانت قد بُنيت فيها النصرية. هذا علماً بأن إسم (مدينا) قد ورد في إحدى الأغاني الكوردية بخصوص مذبحة قرية (جانو). وسألت سكان فارقين كذلك بخصوص قرية (باطري)، فقالوا أن هذا الإسم غير موجود، ولكن توجد قريتان أسفل فارقين وعلى نهرها في المنطقة التي كانت فيها (باطري)، وهما قريتا (رشو- رەشۆ) و(تربسپي- تربەسپی). فلابد إذن أن باطري

(١) ورد في نسخة من تاريخ الفارقي إسم (باطرس) بدلاً من باطري والمقصود بالنهر هنا ماء فارقين. وفي أحسن التقاسيم، ص٣١، للمقدسي، كلمة فندق وخان وتَيم ودار التجارة ألفاظ مترادفة.

(٢) كان الملا محمد المفتي عالماً فاضلاً سمعت بأنه إنتقل الى رحمة الله.

(٣) كان الملا حسين بن الملا عبدالله من سكان قرية (دەشته دەحل) ولعلها (سەردەحل) الواقعة في غرب جزيرة بوتان. درس على العالم الشهير الملا عبدالرحمن الهوسري في (هوسەر) القريبة من الجزيرة، ودرس على الملا فتح الله الورقاني في بدليس وعلى العلامة الملا حامد السعردي من أحفاد الملا خليل السعردي، وذلك في مدينة سعرد. ونال الإجازة العلمية من الملا أحمد مفتي فارقين. أصبح الملا حسين كچك أي الملا الصغير مدرساً في فارقين، وكان من مشاهير علماء وقته. توفي بفارقين سنة ١٩٥٥. كانتولادته في (١٢٨٨هـ = ١٨٧٢م). له خمس مؤلفات (فتح الجليل في الفقه، وقد تم طبعه) وكتاب آخر في علم الكلام وآخر في علم البيان (الإستعارة) وآخر في الرد على الوهابيين والخامس شرح كتاب الملا أبو بكر ميرزا رستمي المسمى (الوردة النضارة في المجاز والإستعارة). وقد زودني بهذه المعلومات الأستاذ الملا عبدالهادي واخوه الملا مهدي أطال الله بقاءهما.

هي إحدى القريتين وقد تغير إسمها. وفي الثاني والعشرين من آب ١٩٧٧، توجهت من فارقين الى نهر باطمان(٤) محاولاً إكتشاف الطريق الذي كان يسلكه نصرالدولة الى النصرية وما على الطريق من قرى، وكذا الفنادق والخانات التي شيدها في الطريق، وإكتشاف آثار الجسر الذي بناه على نهر باطمان في هذا الطريق المتموج. فوصلت قرية بابودين (بابوزين) الباقية بإسمها القديم، والتي تقطنها حوالي (٣٥) أسرة والتي تقع على الجانب الشرقي من وادي ماء فارقين، فلم أجد هناك أية آثار للمسجد أو الفندق أو الدار أو الحمام، التي شيدها نصرالدولة هناك. وسألت سكان (بابودين) عما إذا كانت توجد في حدود القرية آثار بنايات قديمة، فأجابوا بالنفي.

ومن بابودين إتجهنا الى نهر باطمان في طريق ترابي والمسافة بينهما حوالي (٣) كلم. فمررنا بالقرب من قرية (جانو)(٥)، ولم نتمكن من الوصول الى النهر لوقوع جدول كبير على طريقنا تم حفره من النهر. فلم ندخل لذلك الى قرية (پيلەكان) الواقعة على الضفة الغربية للنهر، فرجعنا وإتجهنا شمالاً الى جسر (مالا بادى) الشهير بجسر باطمان (براتمان) التارخي العظيم. وعبرنا من فوق الجسر الحديث وإتجهنا جنوباً بموازاة النهر الي قرية (كيرك) الواقعة على الضفة الشرقية مقابل (پيلەكان) وبينهما النهر في مجراه العريض، وبين القريتين مسافة حوالي (١,٥) كلم. شاهدت آثار (جسر الجنينة) الذي بناه نصرالدولة ولم يبق منه سوى إحدى قواعده غير الكاملة أيضاً. وبالنظر لإتساع مجرى النهر هناك، فلابد بأن الجسر كان طويلاً يصل طوله الى أكثر من (٢٠٠) متر. وقد ذكر الفارقي الجسر بإسم (جسر تل بنان) مرة و(جسر الجنينة) مرة أخرى.

وقد توصلت نتيجة لهذه السفرة الى أن قرية (كێرک) المطلة على النهر وعلى رأس الجسر الشرقي، والواقعة حالياً على الطريق العام فارقين- باطمان- سعرد، هي قرية (تل بنان). أما قرية (جنينة) فيفهم من كلام الفارقي أنها لم تكن بعيدة عن ضفة النهر الغربية، فيحتمل أن تكون قرية (پيلەكان) الواقعة على هذه الضفة التي عندها تل أثري، ولم أصل إليها إن كانت موجودة آنذاك. وبخلاف ذلك فإن (جنينة) قد تكون قرية (جانو) الواقعة في التلال الصغيرة القريبة من النهر بمسافة حوالي كيلومترين مع تقارب الإسمين. ولكن ذُكر لي بأن (جانو) كان إسماً لرئيس القرية عندما كان سكانها من المسيحيين، إن لم يكن من ذكر لي ذلك متوهماً. ولا أستبعد من ناحيتي أن تكون قرية جانو في العهد الدوستكي عند موقع (پيلەكان)، حيث ضفة النهر منبسطة، ثم إبتعدت بعد ذلك بسبب أحد الفيضانات الى موقعها الحالي.

(٤) كان معي محمد الواثق وفائق يشيل والسائق محمود شمس الدين والأخيران من سكان فارقين ومن الوطنيين الكُرد.

(٥) ذكر لي بأن سكان قرية (جانۆ) كانوا مسيحيين قتلت تركيا معظمهم في إحدى حملات الإبادة ضد المسيحيين ولم ينج منهم سوى القليل. وفي كتاب (ستراتێ زارگوتنا كوردايه يا تاريقى ل ١١٦-١١٨) وهو كتاب ثمين للدكتور ئوردیخان جليلي، أغنية كوردية بعنوان (فەرمانه) أى (حملة إبادة) بخصوص المذبحة التي اوقعتها الدولة العثمانية في سكان (گوندێ جانۆ) وإحراق القرية بحيث لم يبق من سكانها حي عدا أطفال تشردوا في العراء. ثم تتطرق الأغنية الى مذابح المسيحيين في فارقين وبشيرى وغرزان (أرزن) مما تقشعر له الأبدان. ويرد في الأغنية أيضاً اسم السلطان عبدالحميد، مما يفهم ان المذبحة كانت في عهده، ويرد في الأغنية كذلك ذكر جندرمة (ألمدينا) الذي شاركوا في المذابح.

منظر من مدينة ماردين

وخلاصة القول ان سفرتي تلك لم تكن كافية، إذ لم أصل الى (پيلهكان) ولا الى مكان بليدة (ألمدينا)، التي لم تكن بعيدة عن (كيرك) بأكثر من عشرة كيلومترات. كما لم أتمكن من البحث عما كان عند (تل بنان) من مسجد وفندق، ولكن السفرة لم تخل رغم ذلك من فائدة.

تجديد عمارة مدينة ماردين

يظهر أن يد الإعمار والبناء قد إمتدت في عهد الدولة الدوستكية الى مناطق عديدة من البلاد. فسارت لذلك التقدم العمراني جنباً الى جنب التقدم الذي حصل في المجالات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية وغيرها. ومن معالم هذا التقدم (مقارنةً بالعهود السابقة) تجديد بناء مدينة ماردين في عهد الأمير نصرالدولة، بعد مرور ما يقرب من سبعين سنة من عهد الدولة الدوستكية. وقد تحدث عن هذه المأثرة العمرانية الحضارية المؤرخ المفتي عبدالسلام المارديني. فقد ذكر إن ماردين التي ظلت عامرة قريباً من مائة سنة بعد الفتح الإسلامي، إستولى عليها الخراب وخلت من سكانها حوالي ثلاثمائة سنة الى أن عمّرها الأمير المذكور، وقال المارديني: "... ثم إن ماردين لما دخلت في قبضة الإسلام وحكم بها عامود بن مارية إمتدت عمارتها قريباً من مائة سنة ثم آلت الى الخراب وصاح على أطلالها البوم والغراب وبلدة ليس فيها أنيس إلا اليعافير والعيس وخلت عن نحو ثلاثمائة سنة حتى

إستولى على دياربكر والجزيرة رجل من الأكراد يقال له أحمد بن مروان... وكان من أهل الشجاعة والسماحة والدولة والعظمة... ثم إن المذكور شرع بتعمير بلدة ماردين وعمّر ما حولها من القرى ونقل اليها الرجال والاموال وبنى اسواقها ومساجدها وكانت عمارتها سنة ٤٤٠هـ ولم يزل يرسل اليها نوابه الى ان توفي..."(٦)

(٦) عبدالسلام الماريني مفتي مدينة ماردين (حكام ماردين أو تاريخ ماردين، الورقة ١١٦ نسخة مخطوطة من مكتبتي كتبت في حياة المؤلف سنة ١٢٥٨هـ) وهو كتاب قيم لم يطبع لحد الان ويقع في (٣٩٤) صفحة. (ماردين) مدينة من كُردستان تركيا، وهي الان مركز ولاية يتبعها أحد عشر قضاءً وتتاخم الحدود السورية العراقية، وتعتبر هامة من الناحية الإقتصادية، حيث بلغ إنتاجها من الحنطة والشعير سنة ١٩٦٥ (١،٠٨٢،٠٠٠) طن من الحبوب ومن الزبيب وحده (١،٠٤٣،٠٠٠) طن وبلغ عدد الأغنام والماعز فيها (١،٢٩٧،٠٠٠) رأساً. وأما نفوس المدينة، فكان (٣١٠٠٠) نسمة. وبخصوص تاريخ هذه المدينة كانت قلعتها عامرة قبل العهد الدوستكي بحوالي تسعين سنة، وقد تحصن بها حمدان بن حمدون التغلبي جد الحمدانيين، وحاصرها الخليفة العباسي المعتضد وإحتلها سنة ٢٨١هـ = ٨٩٤م) أو التي بعدها. ولما إحتلها هدمها على ما ذكره ابن الأثير في (الكامل، ج٧، ص١٥٤). اما في القرن التالي، فقد ورد ذكرها كقلعة فقط كل من الإصطخري وابن حوقل ولم يذكرا ماردين كمدينة بينما ذكرا المدن والقصبات الواقعة في تلك المنطقة مثل نصيبين ودارا (القريبة من ماردين والتي بناها البيزنطيون في أوائل القرن السادس الميلادي)، وذكر رأس العين وكفرتوثا وغيرها. اما ابن خرداذبه وقدامه بن جعفر فقد أوردا ذكر (كورة ماردين) دون ذكر المدينة، بينما لم يورد لها المقدسي ذكراً في حين ذكر اكثر من عشرين مدينة صغيرة وكبيرة من إقليم الجزيرة. ولم أجد لها ذكراً كذلك في أخبار سيف الدولة الحمداني والروم البيزنطيين الذين وصلت بعض غاراتهم الى منطقة ماردين، ودمروا هناك مدناً مذكورة في معظم المصادر التي تطرقت الى ذكر تلك الأخبار. ومما تقدم يمكن أن نتوصل الى أن مدينة ماردين قبل العهد الدوستكي كانت عبارة عن القلعة فقط، اما المدينة التي تقع في وسط الجبل الذي فوقه القلعة الشماء، فلم تكن موجودة او عامرة وعمّرتها الدولة الدوستكية، فكانت مدينة جديدة ناشئة في النصف الأخير من عهدها ولم تكن ذات أهمية. ولم يذكرها الفارقي في عهدها، بل ذكرها بتسع سنوات من سقوط الدولة الدوستكية، أي في العهد السلجوقي. حيث قال ان واليها في سنة (٤٨٧هـ) كان يدعى (جالستري). وفي سنة (٥٨٠هـ = ١١٨٦م) ذكرها مستنسخ كتاب (صوة الأرض) لإبن حوقل في تعليق له نشر ضمن (ص٢٠٢) بإسم (ربض ماردين) بينما أطلق إسم ماردين على القلعة. حيث قال: "ماردين حصن حصين منيع ومن تحته – أي تحت القلعة – ربع عامر منغص بالسكان ضيق الأسواق وليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النظر الى برية رأس العين والخابور وسنجار ومياههم من عيون مجرورة في قنوات وقد إستحدثوا الآن الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر حيث كثر الخلق وإزدادت العمارة – علماً ان هذا الشخص عاش في المنطقة ورأى ماردين وغيرها. ويستفاد من كلامه ان اسم ماردين لم يكن يغلب لذلك الوقت على الربض، بل على القلعة مما يدل على ان المدينة كانت حديثة وغير عامرة قبل العهد الدوستكي، أي في زمن كل من الاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبه وقدامه وكان الناسخ بعد العهد الدوستكي. وكذلك ذكرها بإسم (ربض ماردين) كل من ياقوت الحموي والقزويني في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وأطلقا إسم ماردين على القلعة. وقد صرح ياقوت الحموي بان بعض الناس يقولون ان ماردين حديثة وقريبة العهد من زمنه، ولكنه رفض هذا الإدعاء مستدلاً على قدمها بمجيء إسم ماردين في شعر جرير. ولا يخفى بأن ذلك القول بحداثة المدينة له قيمة رغم عدم إقتناع الحموي به، إذَ يمكن ان نجعله تعضيداً لما ذكره عبدالسلام الماريني. وأنا اظن بأن الأمر إلتبس على ياقوت، فالمقصود بحداثة ماردين هو المدينة بينما المقصود بماردين في شعر جرير هو القلعة التي يرجع تاريخها الى عصر ما قبل الإسلام. وقد ذكر أوليا چلبي بأنها من عصر الإسكندر المقدوني وورد ذكرها في الفتوحات الإسلامية. وهناك ملاحظة أخرى وهي ان صهاريج ماردين احدث من قنواتها المائية وانها (أي الصهاريج) حُفرت في عهد مستنسخ كتاب صورة الأرض كما تقدم، أي في عهد الأرتقيين. اما القنوات فإنها حفرت على الأكثر أثناء بناء المدينة أو في السنوات الأولى من تعميرها من قبل الدولة الدوستكية. ولعلها كانت شبيهة بقنوات الماء في فارقين. وبالمقارنة يحتمل تحديد زمنها، وذلك من إختصاص علماء الآثار. ومن الجدير بالذكر ان ماردين تقدمت كثيراً بعد ان اصبحت مركزاً لإمارة أرتقية اسسها الامير نجم الدين إيلغازي بن ارتق السلجوقي سنة=

مدينة دنيسر

من المحتمل أن الدولة الدوستكية هي التي خططت مدينة (دنيسر) في سهل ماردين، وتسمى الآن (قزل تپه)، وانها بُنيت وأصبحت بلدة في عهدها إذ لم أجد لهذه المدينة ذكراً يدل على وجودها في تاريخ سابق. فمثلاً لم يورد لها ذكراً كل من ابن حوقل والمقدسي والأصطخري والهمذاني وابن خرداذبه والمسعودي، الذين عاشوا في القرن العاشر الميلادي وكانوا من خيرة البلدانيين المسلمين. كما لم يذكرها غيرهم، في حين انهم ذكروا المدن والأماكن المهمة حولها، أو التي في تلك المنطقة مثل ماردين ودارا كفرتوثا ورأس العين. وإن أول مصدر وجدنا فيه ذكراً لها كان نقود الدولة الدوستكية، اذ توجد نماذج منها مسكوكة في دنيسر بتاريخ (٤٠٨هـ = ١٠٧١م) و ٤١٠ و٤١١هـ، كما سلف في موضوع (العملة الدوستكية) في دنيسر(٧).

وحتى إذا كانت قرية قبل العهد الدوستكي، فإنها أخذت بالنهوض كمدينة في العهد الدوستكي، وأصبحت بلدة في طريق القوافل التجارية، وإن إنشاء الدولة داراً للضرب (أي لسك النقود) فيها إنما كان تشجيعاً للناس على الإقامة فيها لتصبح مدينة.

مدينة سعرد

أما مدينة (سعرد)، فقد ذكرهات الفارقي في (ص٩١) بإسم قرية سعرد، وذلك في عهد ممهدالدولة. ولكنها كانت موجودة قبل الإسلام كبليدة لورود إسمها في الفتوحات الإسلامية(٨) وقد ذكر الأصطخري في (مسالك الممالك، ص٦٧) أنها مدينة صغيرة بغير سور، ولا شك بأنها قد توسعت في العهد الدوستكي.

=(٥٠٢هـ = ١١٠٨م). ولا يزال فيها الى الآن بعض من آثار الأرتقيين مثل المدرسة الخاتونية والمدرسة الزنجيرية ذات الزخارف البديعة. راجع: الاصطخري، مسالك الممالك، ص٧٣. ابن حوقل، ص١٩٤، ٢٠٢. ابن خرداذبه، مسالك الممالك، ص٩٥. قدامه بن جعفر، كتاب الخراج، ص٢٤٥ المرفق بالمسالك والممالك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩. القزويني، آثار البلاد، ص٢٥٩. البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٢١٩. الفارقي، ص٢٤٠. أوليا چلبي، سياحتنامه، ج٤، ص٥٧-٦٠. وراجع أيضاً ابن بطوطة، ص٢٣٨. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣١٦.

(٧) بخصوص دنيسر راجع هامش خاص بها في موضوع (العملة الدوستكية).

(٨) قال الأب أنستاس الكرملي في (المساعد، ص٤٣) أن (دكرانكرد) هو الإسم الأقدم لمدينة آمد، ولكن محققي الكتاب الأستاذ گورگيس عواد وعبدالحميد العلوچي علقا على ذلك بأن چمبر ذكر ان (دكرانكرد - دكرانجرد)(سعرد)، ولكن (الهمان) قال انها فارقين وإن (دگران) ملك أرمينيا (الأشكاني) هو الذي بنى مدينة (دكرانكرد) وعاش نحو (١٤٠-٥٥ ق.م). وينسب الى سعرد مجموعة من العلماء منهم إبراهيم بن لقمان وأصله من (معدن) في منطقة (شيّروا) التابعة لسعرد وكان على ما في(تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٨٦) كاتباً على عرصة الغلة بمدينة آمد في عهد الملك الكامل الأيوبي، وقد تولى الوزارة بمصر للملك سيف الدين قلاوون، وتوفي سنة (٦٩٣هـ).(١١) الفارقي، ص١٤٢-١٤٣.

مدينة ساسون

أما مدينة (ساسون – غاب الجوز)، وهي الآن مركز قضاء تابع لسعرد وفي شمالها الغربي بمسافة سبعين كيلومتراً، فلا أستبعد أن تكون من بناء هذه الدولة الكُردية أيضاً. فقد ذكر الفارقي في (ص١٦٨) أن نصرالدولة شيد على حدود السناسنة (الأرمن) (الحصن الجديد)، وغرم عليه من ماله وأصبح حداً وسداً في وجوه السناسنة. وإنهم أي السناسنة إنحصروا بعمارته عن البلد، أي البلاد الدوستكية. ولكنه لم يبين تاريخ بناء المدينة. أما ابن شداد فقد ذكر في (الورقة ٩١) بأن الملك الكامل بن شهاب الدين غازي الأيوبي تفاوض مع التتر (المغول)، الذين حاصروا فارقين في سنة (٦٥٨هـ)، على أن يعطيهم (قلعة السناسنة) مقابل فكهم الحصار عن عاصمته فارقين. فقبل المغول وذهبوا الى قلعة السناسنة فلم يسلمها إليهم. ويستفاد من كلام هؤلاء المؤرخين أن القلعة كانت مهمة، ومن كلام الأخير يتضح بأنها لم تكن قلعة على قمم إحدى الجبال فحسب، بل كانت بلدة أيضاً عوضها الملك الكامل عن فارقين وكان لها وال. فهذه القلعة (البلدة – بلدة ساسون) في رأيي هي الحصن المهم الذي شيده نصرالدولة، وقد جرت الإشارة اليه في موضوع (العلاقات مع الشعب الأرمني) وموضوع (الحياة البشرية: العرب).

مشاريع عمرانية أخرى

ومن مشاريع الدولة الدوستكية تشييد مستشفى فارقين وتجديد جامعها الكبير، والذي أقامت فيه الساعة (البنكام)، وتشييد منارة جامع الربض[٩]، الذي سمي ايضاً (جامع بني مروان) مما لايستبعد أن واحداً من ملوكهم هو الذي شيده بالأصل خارج سور العاصمة، وتجديد جامع المحدثة نفسه[١٠]، وبناء فندق ودار وحمام ومسجد عند قرية باطري[١١]، وحمام أو حمامي العقبة وآخر في صحراء شورجان عند الينبوع[١٢]. وقد أنجزت هذه المشاريع في عهد نصرالدولة.

تشييد دار الإمارة

كانت دار الإمارة، أي مقر الحكومة في عهد كل من الأمير باد (پاد) وأبي علي وممهدالدولة (قصر بني حمدان)، الذي شيده سيف الدولة الحمداني قرب الزاوية الجنوبية الغربية من سور المدينة، بالقرب

(٩) الفارقي، ص١٢٣. كان بناؤها في سنة (٤١٤هـ = ١٠٢٣م). راجع أيضاً موضوع الطب والفن المعماري والزخرفة في كتابنا هذا.

(١٠) الفارقي، ص١٣٨، كان تجديد هذا الجامع في ٤٢٣هـ = ١٠٣١م). والأعلاق الخطيرة ورقة ٧٢ و٩٠.

(١١) الفارقي، ص ١٤٢-١٤٣.

(١٢) نفس المصدر، ص١٦٤. راجع أيضاً الأعلاق الخطيرة، ورقة ٧٢ في المخطوطة ان في رأس سوق الخيل بالمحدثة جامع يعرف بجامع بني مروان، وفيها أيضاً ذكر ثلاثة عشر حماماً في فارقين وحولها. صحراء الشورجان غير معلومة لدينا.

من (برج علي بن وهب). وفي سنة (٤٠١هـ = ١٠١١م) تعرض الى الهدم من قبل سكان فارقين الثائرين على(شيروه بن مه م)، بعد قتله للأمير ممهدالدولة في أوائل السنة المذكورة في قلعة هَتاخ (ايتاخ)، كما مر بالتفصيل في الجزء الأول. وبعد القضاء على فتنة شيروه في أواخر تلك السنة، فكر نصرالدولة في تجديد قصر بني حمدان (القصر العتيق) ليكون دار الإمارة ليسكن فيه. ولكن البعض إقترح عليه أن يعمر القلعة التي على التل (الواقع بالقرب من الجامع الكبير من الشمال الغربي الذي كان أمراء سليڤان بنو عليه مقر إمارتهم في القرن الثالث عشر أو بعده وعليه الآن دار أشرف بگ من سلالة أمراء سليڤان). ولكن الوزير خواجه أبا القاسم الاصفهاني اقترح عليه بناء قصره، أي دار الإمارة، في موقع (برج الملك) الذي كانت فيه القلعة الرئيسية لفارقين في شتى عهودها، وذلك لكونه أعلى قسم في المدينة. وكان في الزاوية الشمالية الشرقية (تل)، شيد عليه مخطط المدينة بمساعدة الرومان الطبيب السرياني (ماروثا الفارقي) المتوفي حوالي سنة (٤٢١هـ) قلعة، فكانت أصل المدينة وعند التل شاهدت آثار باب مسدود، وهو أقدم أبواب المدينة والمسمى (باب الشهوة). وكان للموقع سوره الخاص.

لقد ذكر الفارقي في (ص١٠٧) أن نصرالدولة فرح عندما قال له الوزير: "الذي عندي ان تبني (اي القصر) ملاصق برج الملك وهو موضع عال يحكم على البلد جميعه واعلم انك ان بنيت في البلد كان برج الملك منفرداً يحكم من فيه مستقلاً دون المدينة ولايُقدر عليه وإن بنيت في هذا الموضع انضاف برج الملك والباب الى القصر وكانت تحت حكمك ومن جملة القصر". وبوشر في بناء القصر في أول سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٣م) "فعمره أحسن عمارة وغرم عليه مالاً عظيماً وبنى المنظرة العتيقة المطلة على الربض وغرس بستان القصر... وقيل كان موضعها وموضع دار السيدة بيعة كبيرة ونقل مشاهدها الى بيعة الملكية وعمل في القصر أحسن العمل وزوقه وأجرى في حيطانه وسقوفه الذهب وعمل فيه ما لم يعمل مثله". وأضاف الفارقي أن نصرالدولة فرغ من بناء القصر في ذي الحجة، أي الأخير من نفس السنة بثلاثة أيام قبل عيد الأضحى. وذكر أيضاً أنه حفر قناة ماء من رأس العين (أي من سەرەكانى)، وهو الينبوع الكبير الواقع خلف المدينة وتحت الجبل وذلك بحوالي كيلومتر واحد بإستقامة باب الربض، وأجرى الماء الى القصر وأحواضه وبستانه(١).

ولا ندري ما المقصود بالباب، هل كان باب الشهوة أو (باب الهوة) الذي كان يقع في غرب باب الشهوة في السور الكبير والزاوية الغربية من موقع برج الملك، أو هل كان باب (قلوفح - كولفا) الواقع في القسم الشرقي من السور. وكانت الأبواب الثلاثة تؤدي الى برج الملك، وكان الأخير مسدوداً حتى عهد ممهدالدولة. أما باب الشهوة، فلم أجد إشارة الى كونه كان مفتوحاً أيضاً، فمن المحتمل ان المقصود به (باب الهوة) الذي عليه كتابة تجديدية لنصرالدولة.

أما البستان الذي غرسه نصرالدولة، فكان يقع أمام القصر بإتجاه الجنوب، وكان قسم منه أو معظمه

(١) أشار الدكتور عبداللطيف عوض في الهامش الى انه ورد في إحدى نسخ الفارقي وفي (الأعلاق الخطيرة) (مخطوطة مارش) انه كان للقصر حمامان.

موجوداً حتى سنة ١٩٧٧ بين السور شمالاً والشارع الرئيس في المدينة والممتد من الشرق الى الغرب جنوباً(٢).

شيد نصرالدولة القصر بثلاثة طوابق وزاد عليه ابنه نظام الدين طبقة رابعة اثناء حكمه. ولاشك بأن القصر كانت له ملحقات أنشأ بعضها فيما بعد لكي يتسع لأفراد اسرته. فقد ولد لنصرالدولة أكثر من أربعين ولداً وكان يمتلك مئات الجواري عدا الخدم والحراس. ولم يذكر الفارقي سوى دار واحدة شيدها بعد القصر لزوجته (السيدة) بنت أمير الموصل (قرواش بن المقلد) العقيلي.

لقد ذكرنا ان هندسة القصر كانت على الطراز السدلي (كەلەكى) الكُردي الأصيل، وكانت له ثلاثة أبواب. وذكر اسم الباب الشرقي في (ص١٤٩) وقال كان نصرالدولة يركب من على الصفة ويسير في القصر ويخرج من الباب الشرقي ويمضي حيث أراد. وكانت هذه عادته إلا أنه غضب مرة من إبن عمه (مرزبان بن بلاشو)(٣)، فخرج بنفسه الى باب الدرجة برأسها بباب القصر ونزل وركب البغلة من أسفلها وخرج من القصر. أي انه لم ينزل من تلك الدرجة منذ أربعين سنة من بنائه. وقد وجد ابن شداد عندما زار فارقين سنة (٦٧٥هـ = ١٢٥٩م) القصر ووصفه بأنه "قصر عظيم كان دار السلطنة"، ووجد اسم نصرالدولة على الباب الوسطاني للقصر(على ما في الورقة ٧٣). أما الباب الثالث، فلعله كان في الجهة الغربية من القصر مما يدل على أنه كان باقياً الى آخر عهد الإمارة الأيوبية في فارقين.

فالقصر كان دار الإمارة في العهد السلجوقي والأرتقي والأيوبي ولاندري متى تهدم كلياً أو جزئياً، ولكن نعلم أن مركز الحكم في المدينة في العهد العثماني كان في نفس المكان. وفي كتاب سليمان سافجي، المتوفي سنة (١٩٤٥م)، صورة قديمة لنفس المكان الذي اشتهر بـ(قلعة زميبل فروش) بدل (برج الملك) منذ عدة قرون. وتشاهد في الصورة هناك أربعة بنايات في إستقامة واحدة وملاصقة للسور الشمالي، أو منفصلة عنه بقليل وأمامها البستان. وقد وصفنا بعضاً من تلك البنايات في موضوع (السدلي). لقد وجدت في مكان القصر جدار عرضة حوالي مترين يمتد من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي بمحاذاة تل برج الملك وقلعة زمبيل فروش، وهو حسب رأيي جدار القصر أو سوره الخاص.

لاشك بأن تلك الأبنية أو على الاقل ثلاثة منها قد شيدت على أنقاض قصر نصرالدولة، أو انها تجديدات وترميمات له جرت كلما دعت الى ذلك الحاجة خلال أكثر من ثمانمائة سنة بعد العهد الدوستكي. ومن المحتمل جداً أن تلك الأبنية تحمل الطراز المعماري للقصر وأقسامه، أو فيها بعض جوانبه الهندسية وعلى الأخص البنايات الثانية والثالثة والأولى.

عندما زرت فارقين سنة ١٩٧٧ لم تكن تلك الأبنية موجودة، بل هناك بيوت حقيرة جديدة متناثرة،

(٢) فتح قائمقام فارقين إبراهيم بگ هذا الشارع سنة (١٣٤١هـ = ١٩٢٢-١٩٢٣).

(٣) (بلاش) كان إسماً لخمسة من الملوك الأشكانين وملك ساساني واحد ويكتب (ولفاش) أيضاً. حكم بلاش الأول (٥١-٧٨/٧٧م) ويعلم من إسم (بلاشۆ) بن (كك - كەک - كەكۆ). ان هذا الاسم كان متداولاً في كوردستان حتى العهد الدوستكي.

جدار من دار الإمارة

ولست أدري سبب إزالة تلك الأبنية الجميلة. وقد أضرّ سكان فارقين بالسور وأبراجه وجلبوا الكثير من أحجاره وشيدوا بها دورهم. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن في مخطط گبرييل الموجود في (ص١٤٣) من كتاب بيسان أوغلو إشارة الى بناءين فخمين في برج الملك بالقرب من السور.

قنوات المياه لدار الإمارة وللمدينة

جرى في عهد نصرالدولة أيضاً حفر ثلاث قنوات ماء للعاصمة فارقين. ففي حوالي سنة (٤٠٥هـ = ١٠١٤م) حفر نصرالدولة قناة ماء وأتى بها من خارج المدينة الى قصره في برج الملك. كما حفر قناة أخرى وجاء بها الى وسط الربض من الجانب الشرقي الى تحت برج الملك الى باب الهوة الى أحد برجي باب قلوفح، ومن تحت البرج أدخل القناة الى المدينة، ووزع ماءها في قنوات فرعية للمدينة(٤).

أما القناة الثالثة فكانت قناة ابن جري، التي تبرع بحفرها التاجر ابو بكر بن جري وسماها الفارقي قناة الجامع. وقد حفرها ابن جري من منبع نهر فارقين (عين حنبوص) وضم اليها مياه عيون أخرى إليها، وجاء بالقناة من الجانب الغربي الى السور وأدخلها الى المدينة عبر بستان الفصيل ونقب السور بعد أن أذن له الأمير. ومضى بها في الفصيل الى ما بين السورين، وأجراها الى المدينة عند الينبوع. ومضى بها في وسط المدينة وزقاق القتيل، وعبر بها الى باب داره فوق القبة ولم يأخذ منها الى داره

(٤) نفس المصدر، ص١٦٤.

قطرة. ودخل بها الى سوق القبة والى الجامع، وعمل التسع أنابيب (أي صنابير أو حنفيات) ووزع الماء في مرافق الجامع وحماماته. لقد أشاد الفارقي بأهمية هذه القناة، فقال انه حصل للبلد بها فائدة كبيرة. والقنوات الثلاث تم شقها من رأس العين (عين حنباص). كما أشار الفارقي الى قناة حفرها سيف الدولة الحمداني لقصره خاصة (قصر بني حمدان) من الجهة الغربية للمدينة. أما تكاليف قناة ابن جري الى حدود السور، فكانت خمسين ألف دينار(٥).

كما صنع نصرالدولة مصنعاً (صهريجاً - سەرداو - بن تەبەق) في بستان الرئيس على بن منصور بن كەک (علماً أن هذا البستان مازال بستاناً لم يتغير وضعه) عند برج علي بن وهب (وأمام باب الفرح والغم بالقرب من الزاوية الجنوبية الغربية من السور حيث البساتين حالياً) الى أن ظهر فيه الماء وأحسن عمارته وغرم عليه ومالاً كبيراً. وأضاف الفارقي أنه لم ير أحسن من بنائه ولا أحكم منه، وتولى عمارته الوزير ابن جهير(٦). كانت المصانع تبلط قيعانها بالأحجار والجص وكذلك جدرانها على العموم كي لاتتسرب مياهها، ووجدنا في كردستان أحواضاً يرجع تاريخها الى حوالى ألفي سنة.

المباني الدينية

في سنة (٤١٤هـ = ١٠٢٥م) جدد نصرالدولة الجامع الكبير في العاصمة فارقين، الذي كان يمتاز بفن معماري جميل على ما يتضح من نسخة سفرنامة ناصر خسرو المعربة والمطبوعة، والتي حذف منها الكاتب النسخة الخطية أوصاف الجامع الذي ذكرها بالتفصيل ناصر خسرو، الذي شاهدها وأعجب بها.

يقع الجامع الكبير الذي يسمى (جامع عجم وجامع صلاح الدين) يقع في وسط المدينة، ويمر أمامه حالياً الشارع الرئيسي في المدينة والممتد من الشرق الى الغرب. للجامع بابان جنوبي وشمالي، ومساحته (٦٠×٣٠م) أو (٦٠×٢٥م) وكان موجوداً في القرن التاسع الميلادي. فقد ذكر إبن شداد في (الأعلاق الخطيرة، ورقة ٧٢ و٧٧) أن أحمد عيسى بن الشيخ أمير ميافارقين بنى منارة الجامع وإسمه مكتوب في لوح حفر سنة (٢٧٣هـ = ٨٨٦ -٨٨٧م). وفي الورقة (٧٧) ذكر ان اسم المبارك بين ميمون مكتوب على لوح حجري في المقصورة الغربية للجامع. علماً ان المبارك تولى إقليم دياربكر من قبل الخليفة العباسي (المقتدر) سنة (٢٩٥-٣٢٠هـ = ٩٠٧-٩٣٢م). وقد أشار ابن شداد الى انه نقل معلوماته عن الفارقي.

لاتُعرف سنة تشييد الجامع ومن الذي شيده أولاً. فقد قال بسري كونيار بإحتمال كونه كنيسة في الأصل وهذا الرأي راجح، لكون عدد من أبوابه القديمة (التي تُرى في صور بسري كونيار) مشابهة لباب كنيسة مريم في دياربكر، والموجودة صورها في بيسان أوغلو (ص١٠٣) وهي من العهد البيزنطي في الجدار الشمالي، الذي فيه تلك الأبواب ثلاثة أدوار. وقد جدده نصرالدولة سنة

(٥) الفارقي، ص١٦٤-١٦٥. راجع أيضاً مخطوطة الأعلاق الخطيرة، ورقة ٧٢، ٩٠.
(٦) نفس المصدر، ١٦٨. في مختار الصحاح والمنجد (المصنع) ماهو كحوض يجمع فيه ماء المطر.

(٤١٤هـ) وأشرف على التجديد كاتبه أبو سعيد الكبير بن بختيشوع الخازن. ثم إنهدم الجانب القبلي منه في العهد الأرتقي، فجدد معظمه الأمير حسام الدين ألبي تمرتاش، حيث توجد كتابة بإسمه في قبة الجامع[١] ولا أثر للمنارة. كما توجد فيه، أي الجامع، خمس كتابات من عهد الأمير الايوبي شهاب الدين غازي بن الملك العادل ابن أيوب، إحداها في القبة والأخرى في الجدار الجنوبي الشرقي، حيث عمل هناك محراباً جميلاً بتاريخ (٦٢٤هـ = ١٢٢٧م[٢]).

ولحسن الحظ، فإن هذه الأقسام لم تتلف وتتغير بعد ترميمات عام ١٩١٣م، التي أجراها بنّاء ماردیني شوه هذا الجامع المهم عمارة وتاريخاً، كما أشرنا الى ذلك في موضوع (ساعة بنكام). وقد لاحظنا من إحدى صور بسري كونيار الثلاثة التي أخذت عندما كان الجامع مهدماً (وهي الصورة ٣٠٦ في كتابه)، وجود حفر صغيرة دائرية على بعض الأحجار المتناثرة. يذكر بأن تلك الحفر خاصة بقطع حديدية كانت قد إستخدمت في الربط بين حجر وآخر للتقوية. وهذا الأسلوب كان موجوداً في العهد الساساني، حيث استخدم في (بت خانه) في (پيكولي) الواقع في السفح الجنوبي من سلسلة قرداغ من كوردستان العراق. ومن المحتمل جداً أن تلك الأحجار تعود الى أعمال الترميمات التي أجراها نصرالدولة للجامع، بنفس الطريقة التي إستخدمها بها نظام الدين في تجديد باب قلوفح، كما سيأتي ذكره. راجع صور الجامع في موضوع (ساعة بنكام).

أما في مدينة دياربكر، فقد بنى نصرالدولة في سنة (٤٤٧هـ = ١٠٥٥م) مسجداً ملاصقاً للجانب الأيسر (حينما تدخل المدينة) من باب خربوت (باب الجبل). ومازال يسمى بـ(جامع بني مروان). وكان قسم من هذا المسجد قد تهدم فيما كانت دائرة الإطفاء تشغل قسماً آخر، أي ما تبقي منه حتى عام ١٩٦٣. وقد شاهدت المسجد في آب ١٩٧٧وكان الناس يصلون فيه. للمسجد وكان ذا طابقين رغم أنه لم يكن من المساجد الكبيرة،. لقد تولى الإشراف على بنائه الوزير إبن جهير. وعلى المسجد الكتابة التالية:

(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تطوع بعمله (وبنائه والإنفاق) اليه تقر(با) الى الله تعالى ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم مولانا (الأمير السيد) الأجل المؤيد المنصور عز الإسلام سعدالدين نصرالدولة وركن الملة ومجد الأمة شرف الأمراء أ(بو) نصر أحمد بن مروان أطال الله في العز الدائـ (م) بقاه وجز(ا له؟) سلطانه وذلة (؟) أعدائه وجرى ذلك «على

(١) قال ابن شداد في الواقة (١٠٧): "أن في ليلة الإثنين ثاني عشر من شهر ربيع الأول من سنة ٥٤٨هـ = ١١٥٣م إنهدم الجامع ووقع مكان المنبر والأروقة فهدم حسام الدين تمرتاش الأرتقي الباقي منه، ثم أمر يتجديده". وفي الورقة (٧٣) قال: "وسقط من الجامع الجبهة القبلية في ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة فعمر جديداً". وفي قول ابن شداد تناقض في السنة التي إنهدم فيها الجامع كما خطأ في قوله أن حسام الدين تمرتاش هو الذي جدد الجامع وفي السنة التي توفي فيها حين قال أن تمرتاش توفي سنة (٥٤٨هـ). لأن الصحيح أنه توفي في السنة التي قبلها. وقد تولى الإمارة ابنه نجم الدين ألبي سنة (٥٤٧هـ)، الذي جدد الجامع. ويوجد الان نص كتابي برسم المذكور في القبة في (ج١، ص٣٢٦ من كتاب شوكت بيسان أوغلو) المؤلف في تاريخ دياربكر، والكتابة خالية من التاريخ، علماً أنه لم يعمر القبة بأكملها بدليل وجود قسم أقدم في القبة يعود الى العهد الدوستكي. والقبة كبيرة تستند على ثمانية أعمدة وهي مثمنة الأضلاع.

(٢) الكلمة نقلت خطأ ولعل الصحيح (و أذلّ).

المسجد قبل الترميم- من بيسان أوغلو

يدي... الأجل ابو نصر محمد بن محمد بن جهير أدام الله مكانه في ذو الحجة سنة سبع وأربعين وأربعمائة) وقد قامت تركيا بترميم الجامع(٣).

تجدر الإشارة الى انه توجد بجانب المسجد الشمالي كتابة ورسوم رومانية على السور. وقد ذكر ابن شداد في (الأعلاق الخطيرة، ورقة ٩٠) أن جامع الربض(٤). قد تهدم فجدده نصرالدولة وبنى منارته سنة ٤١٤هـ. أما الفارقي فقد ذكر في (ص١٢٣) بناء المنارة فقط، علماً أن الربض هو الأرض المنبسطة الواقعة بين مدينة فارقين والجبل.(٥)

وذكر إبن شداد انه في نفس السنة بنى (جامع المحدثة) ووقف عليه الأوقاف. والمحدثة هي الضاحية الجنوبية لفارقين، وهناك منارة أيوبية مربعة يحتمل أنها شيدت لهذا الجامع، الذي لم يبق منه أثر اليوم. وقد أشرنا في موضوع بناء (النصرية) الى ان نصرالدولة بنى في كل من قرى باطري

(٣) الكتابة والصورة من بيسان أوغلو، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٤) ورد في الأعلاق الخطيرة (جامع الراضي) سهواً أو خطأً من الناسخ. وهذا الجامع غير (مسجد الصخرة) الذي ذكره الفارقي في (ص٢٥١) أنه كان يقع تحت الجبل وغير مسجد رأس العين، أي كان المسجد في الأراضي الواقعة بين المدينة والجبل وتبلغ مسافتها كيلومتراً عرضاً، ثلاثة مساجد وقد ذكر ناصر خسرو في (سفرنامه، ص٤١) أن صلاة الجمعة تقام في جامع الربض. وذكر الهروي في (الإشارات الى مواقع الزيارات، ص٦٤-٦٥) طبعة دمشق ثمانية مساجد في فارقين كانت تتمتع بقدسية خاصة، يزورها الناس لإشتهارها بكونها مشيدة من قبل صحابة الرسول (ص) وهي: مسجد خزيمه، مسجد إبراهيم، مسجد الخنادق، مسجد ياسين، مسجد أبي خالد، مسجد حرملة،، مسجد على بن أبي طالب، مسجد عتري، وذكر ايضاً إسم مسجد الصخرة. ومن المحتمل أن بعضاً منها كان يقع خارج المدينة لأن مشهد (مسجد) على بن ابي طالب كان يقع في الجبل. ويظهر ان هذه المساجد كانت أقدم من العهد الدوستكي، علماً أن علي بن ابي بكر الهروي ذكرها بعد عهدها لأنه توفي سنة (٦١١هـ = ١٢١٦م).

(٥) أتى إبن شداد على ذكر ينبوعين في الربض بإسم (عين جوزه) و(عين حفيرة) في وسطه، وقال أن الأخير يدخل مدينة فارقين ويدير اربعة أرجاء في داخل البلد (ورقة ٧٤).

المسجد بعد الترميم- المؤلف

وبابوزين وتل بنان مسجداً. ولاشك ان الدولة الدوستكية بنت مساجداً في المدن أخرى، إذ لا يمكن أن تكون (النصرية) خالية من مسجد، ولكن مع هذا لم ترد الى ذلك إشارة.

والجدير بالذكر هنا هو قول ابن شداد في (الأعلاق الخطيرة، ورقة ٧٤) ان في فارقين ما يناهز المائتي مسجد، منها (مسجد الدكة). ويفهم من (الورقة ٧٢) أن المسجد المذكور كان قريباً من (باب الهوة)، وقد وجدنا آثاره في غرب هذا الباب عند السور مباشرة. والدكة كان موقعاً مطلاً على (الخندق الذي في مكانه الحالي بساتين) علماً أن الدكة هي شريط ضيق و مسطح من الأرض يقع غرب قلعة زمبيل فروش أكثر إرتفاعاً عن موقع الخندق. وفي الصفحة التالية صورة المسجد.

لا بأس هنا أن نشير الى الجامع الكبير لآمد وهو أهم جامع في كوردستان بزخارفه وأعمدته الحجرية، ونقول انه كان موجوداً في عهد نصرالدولة. فقد وصفه ناصر خسرو في (سفرنامه عند البحث عن آمد في ص٨-١٠) بما يلي: "ومسجدها الجامع من الحجر الأسود وليس مثله متانة وإحكاماً، وقد أقيم في وسطه مائتي عمود قطعة واحدة وفوق هذه الأعمدة عقود من الحجر وقد نصبت فوقها أعمدة أقصر من تلك وجميع أسقف المسجد على هيئة الجملون وقد كملت نجارة ونقارة ونقشاً ودهناً". وقد أشار الى الحوض الحجري في ساحته والذي يتدفق منه الماء من أنبوب في وسطه.

وفي عهد ملكشاه جرى ترميم المسجد من قبل عميدالدولة ابن فخرالدين ابن جهير سنة (٤٨٤هـ). وعلى المقصورة الشرقية والغربية كتابات من عهد بني إينال سنة (٥١١ و٥١٨ و٥٥٥هـ. وكان البنّاء في السنة الأخيرة (هبة الله الكركاني). المسجد المذكور كان في الأصل كنيسة بإسم (سانت توما) أو كنيسة توما، على ما جاء في كتاب بيسان أوغلو، ج١، ص٢٧١-٢٧٥ وبسري كونيار، ج٢، ص٥١.

مسجد الدكة

الجسور

نظراً لوجود أنهار كثيرة في البلاد الدوستكية الجبلية بصورة عامة، وبسبب هطول الأمطار وسقوط الثلوج الكثيرة، فقد كانت أنهار البلاد تفيض في فصلي الشتاء والربيع وتخلق متاعب كثيرة للسكان وللقوافل في عبورها. ولهذا دشنت الدولة الدوستكية جسوراً وقناطر عديدة ومنها: الجسر الكبير الذي شيده نصرالدولة على نهر باطمان (أحد الروافد الرئيسية لنهر دجلة) الذي مر ذكره. وفي سنة (٤٣١هـ = ١٠٣٩م) بنى نصرالدولة جسراً على نهر (الحو) وهو نهر أنبر (عەنبار)، وهو أول نهر الى الشرق من مدينة آمد (دياربكر) كما ذكرنا.

وقد ذكر الفارقي في (ص١٣٤) أسماء سبعة جسور، فقال: "وقف نصرالدولة على جسر الحسنية والحميدية وتل بنان وقطنيتا وبابوزين والإبراهيمية وبرسدي وغرم عليه مالاً عظيماً"(١). لاشك ان

(١) ذكر الدكتور بدوي عبداللطيف في هامش (ص١٤٣) من تاريخ الفارقي الذي نشره هو أن أسماء الجسور حسب العبارة المذكورة مأخوذة من نسخة (ب) من تاريخ الفارقي، بينما وردت أسماؤها في (النسخة أ) كما يلي: "على جسر الجنينة وتل بنان الحسنية، وتل بنان والإبراهيمية وبابوزين وبرشردي وقطنيتا". وفي الأعلاق الخطيرة ورقة، ٧٣ ورقة٩١: بنى (أي نصرالدولة) جسر الحسينية على تل بنان ان هذه الأماكن غير معلومة لدينا ما عدا تل بنان وبابوزين، علماً انه توجد حالياً (گوندي ابراهيم) في ناحية (مالا بادى) التي تقع فيها (گوندى جانۆ) وبابودين و(كێرک) وپيلەكان وقرية بإسم (حسنيكان) في نفس الناحية، و(حسێنيان) في ناحية بشنك وبابوزين هي بابودين. وجسر تل بنان في ناحية مالابادي و(حسێنيک) في قضاء (لجێ). وجسر تل بنان والجنينة هو واحد.

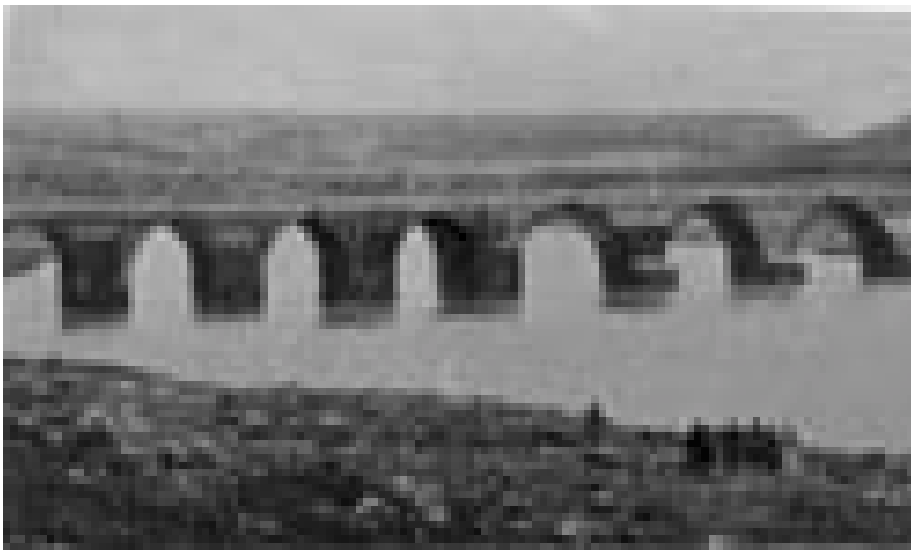

الجسر - من فان برسم

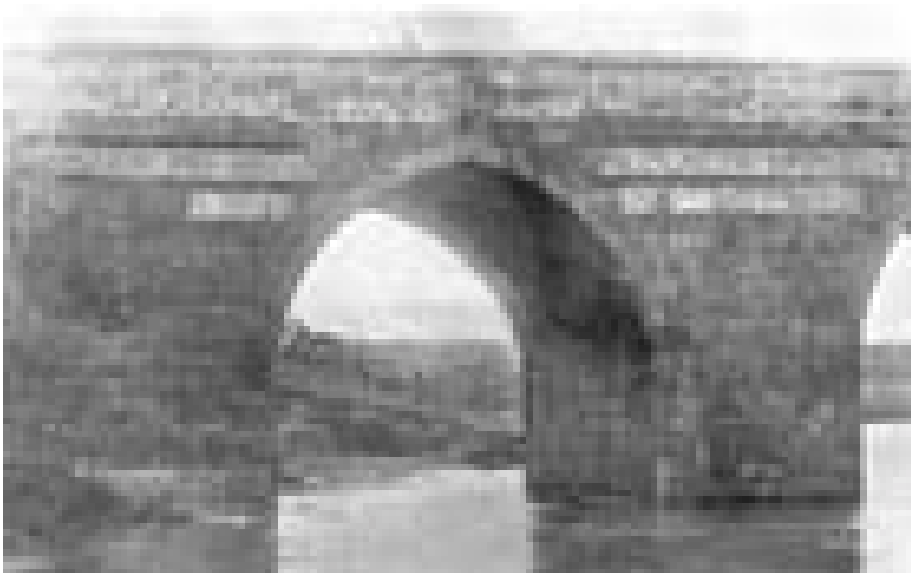

مقطع من الجسر

عبارته تعرضت للإرتباك والخطأ ولايدري أن الضمير في (وغرم عليه) يرجع الى أي من الجسور. ولعل الصحيح (عليها) أي غرم على الجسور المذكورة كلها. وإن كان كذلك يكون هو مشيد تلك الجسور، لأن كلمة (غرم عليه) تستعمل عادة لشيء بناه الغريم لا الواقف. كما إن الشخص (بصورة عامة) يقف الأملاك على ما شيده هو عدا المباني الدينية. فمن المحتمل لذلك أن تكون هذه الجسور من إنشاء نصرالدولة، ومن بينها جسر تل بنان الذي شيده هو. وإن كان المقصود مجرد الوقف يحتمل جداً أن يكون جسر الحسنية جسر مدينة زاخو (حسنيه) المسمى (پرا دەلال) الذي كان موجوداً قبل العهد الدوستكي.

وفي سنة (٤٥٧هـ - ١٠٦٥م) شيّد الأمير نظام الدين نصر بن نصرالدولة الجسر الكبير الموجود حالياً على نهر دجلة عند مدينة دياربكر، وهو على إحدى عشرة قاعدة وعليه الكتابة الكوفية التالية مع صورة الأسد.

والكتابة على الحجارة البيضاء: "مما أمر بعمله والانفاق؟ عليه مولانا؟ الأمير؟ الأجل؟ السيد(...) نظام الدين مؤيدالدولة (... بن) عز الإسلام أطال الله بقاءه وأعز نصره ودبر هداه إبتغاء ثواب الله وطلب رحمته في (...) وجرى أكثر ذلك على يد (...) القاضي أبي الحسن عبدالواحد سنة سبع وخمسين وأربعمائة والبناء عبيد؟ بن سمحر؟"

المنشآت الدفاعية

لقد قامت الدولة الكُردية ببناء منشات وتحصينات دفاعية تكون لها ولسكانها درعاً أثناء الحروب والإعتداءات الأجنبية، كالقلاع والحصون والأسوار والأبراج. ونظراً لما تعرضت له البلاد خلال العهد الحمداني من غارات بيزنطية متكررة، فقد تهدم الكثير من أسوار وقلاع المدن علاوة على تداعي بعضها وإحتياجه الى الترميم أو التجديد. فإضطرت الدولة الدوستكية بعد تأسيسها الى تقوية دفاعات البلاد العسكرية، حتى إن المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة الفاطمي، الذي كان يدير ثورة ضخمة ضد الدولة العباسية، أشار في رسالته الى نصرالدولة كيف إن بلاده منيعة فيها "الحصون التي هي من أمهات الحصون" وإنها "البلاد المعمورة المأهولة"، كما أشرنا الى ذلك في موضوع العلاقات مع الدولة الفاطمية. وقد ذكرنا في الجزء الأول كيف أن الملك السلجوقي (الب أرسلان) لما وصل الى آمد في عهد نظام الدين إستغرب من مناعة سورها، فأخذ يضع يده علي السور ويمسح بها صدره. وبفضل تقوية الدولة لسور فارقين أصبح من اقوى الاسوار وصمد جيشها في فارقين سنتين امام القوات السلجوقية، وهي مدة لم تصمد أمامها مدينة أخرى ولم تقاوم تلك المقاومة الطويلة. كما ان الملك الايوبي الشجاع (الكامل) قاوم المغول بسبب مناعة سور المدينة أيضاً سنتين(١).

(١) ذكر ابن شداد في الأعلاق الخطيرة - القسم الخاص بالجزيرة من المخطوط الذي نشير اليه كثيراً (ورقة ١١٩-١٢١) تفاصيل ايفاده من قبل الملك الناصر الايوبي من دمشق الى فارقين للصلح بين الملك الكامل والمغول في سنة ٦٥٧٠هـ = ١٢٥٩م)، وكان المغول يحاصرونها، وذكر بعضاً من صور المقاومة البطولية للملك الكامل وسقوط المدينة في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة (٦٥٨هـ) وأسر الملك الكامل وإحضاره بين يدي هولاكو. وذكر إبن شداد كيف إنه قال لهولاكو: "من أنت حتى أتحمل مشقة رؤية وجهك انت ما لك قول ولا دين ولا امانة بل خارجيّ يجب عليّ قتالك وانا=

كانت المنشآت الدفاعية من أهم الضروريات، لهذا وقفت الدولة قرى وعقارات على الأسوار والقلاع كوسيلة من وسائل بقائها، ولكي يتم صرف وارداتها على ترميمها وحراستها. ولا شك أن ملوك الدولة الكوردية شيدوا القلاع وحصنوها. إلا أننا لم نطلع على المعلومات بهذا الصدد سوى ما يتعلق منها بالحصن الذي شيده نصرالدولة على حدود السناسنة (الأرمن).

سور فارقين وأبوابه

اتخذ سور فارقين شكلاً مستطيلاً وفي بعض المراجع الحديثة[٢] أن طوله من الشرق الى الغرب (٦٠٠) متر، ومن الشمال الى الجنوب (٥٠٠) متراً. كان السور مشيداً بالحجر الابيض والجص، وهو عبارة عن سورين: الأمامي (الخارجي)، والداخلي (الخلفي) وهو اعلى واهم من الاول. وبين السورين فراغ يسمى فصيلاً عرضه (٥،٥) متر، وهو في ذلك مشابه لسور قسطنطينية (استنبول) البيزنطي. كان السور الأمامي هو الخط الدفاعي الأول للسور الكبير الخلفي. وتجدر الإشارة الى أن اسم (الفصيل) يطلق على السور الامامي ايضاً. اما عرض جدار السور اي (ثخنه) فيبلغ متران، وابراج السور كما قال ناصر خسرو الذي زار فارقين في عهد نصرالدولة: بين كل خمسين ذراعاً أي حوالي (٣٠) متراً برج. أما ابن شداد فقد قال في (الورقة ٧٣): عندما زرتها كان للسور إثنان وأربعون برجاً ذوات شرفات. مع العلم أن موقع المدينة لا يتمتع بمناعة طبيعية، فموقعها منبسط مع تموج خفيف. ولم يبق من السور سوى نتوءات في القسم الشرقي من وبالقرب من الزاوية الجنوبية الشرقية.

أما أبواب السور فكانت ثمانية وهي:

١- باب قلوفح (باب كولفا) وكولفا الآن قرية قريبة من المدينة من ناحية الشرق. وسمي بالباب الجديد وباب المرآة ايضاً. وسمي ايضاً بباب الفرج أو باب الفرح (بالحاء المهملة) وهو الباب الشرقي لوقوعه في القسم الشرقي من السور بين برجين صغيرين. كان الباب موجوداً في السورين أحدهما أمام الآخر، وقد شُيّد الخلفي منهما، الذي كانت عليه المنظرة والمرآة نظام الدين بعد سنة (٤٥٨هـ = ١٠٦٦م) على ما قاله الفارقي في (ص١٩٨-١٩٩) (راجع صورته في موضوع فن العمارة). اما الباب الامامي الواقع في السور الخارجي (الفصيل)، فهو والباب الخلفي عموماً متماثلان طرازاً عدا إختلافهما في الجزء الاعلى من المدخل. فالباب الخلفي كان معقوداً دائرياً كعقادة جسر لكي يحمل

=خير منك". فقال هولاكو بأي شيء انت خير مني؟ فقال لأنني أؤمن بالله وبرسوله ولي دين وامانة فإن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وكان لنا من عدن الى تبريز فذهب منا ذلك وكذلك يفعل الله بك اذا اراد يرسل عليك من يقتلك ويسبي ذريتك ولا يترك من عسكرك احداً. فقال له: "كلامك اكبر منك لأنك من السلاطين الصغار". ثم وكزه (أي هولاكو) بسيف كان بيده فخرق بطنه وأمر سولجق فضرب عنقه وبعث برأسه الى الشام...". وفي بعض المصادر ان هولاكو قال له أنت من ابناء السلاطين العظام او من السلاطين العظام بدل (الصغار). وذكر ان المغول ابادوا سكان فارقين ولم يبق منهم سوى سبعة انفس.

(٢) راجع شوكت بيسان أوغلو، ص١٤٣ من Diyarbakir Tarikhi .

بناية المنظرة. أما الأمامي فهو مستطيل، وقد جدد عمارة الأخير الملك الأشرف الأيوبي (موسى بن الملك العادل الذي دخلت فارقين تحت حكمه من ٦٠٧-٦١٧هـ = ١٢١٠-١٢٢٠م). وعندما زرت المدينة سنة ١٩٧٧ لم يبق من كتابة الملك الأشرف سوى ما يقل عن ثلاثة احجار وهي:

١- (الأ) شرف العالم العادل

٢- بن أيوب ناصر أمير المؤمنين

٣- المحترم سابق الدين (بفا)

اما في عهد سليمان سافجي اي في الثلاثينات، فكان قد بقي منها مقدار أكثر(٣). لقد سقط من الباب تاريخ الكتابة. علماً ان كتابته بخط الثلث المزخرف وتقع فوق الباب وتحتها وفوق الباب ايضاً كتابة على حجر واحد تحمل اسم البنّاء وهي " عمل ابي العلاء بن أبي الفتح"(٤).

سعة الباب (٢.٧٧م) وعرض جداره (أي ثخنه) (١.٣٨). على المدخل حجر واحد طوله أكثر من ثلاثة أمتار، ويعلم من الحجر الثاني الذي على يسار الكتابة الاخيرة، ان هذا الحجر كان موجوداً قبل عهد الملك الأشرف، وذلك بدليل وجود حفرتين صغيرتين عليه كان قد ادخل فيهما حديدان لربط الحجر بحجر آخر. وقد وضع البنّاء ابو العلاء هذا الحجر في تعميره للباب بشكل مقلوب خطأً (أو لسبب ما كأن تكون على وجهه كتابة من عهد نظام الدين وهذا احتمال قوي)، كما قام بتغيير وضعيته الافقية الاصلية في البناء السابق الى وضعية عمودية في تعميره مع عدد من الاحجار الاخرى، بضمنها الحجر الذي عليه اسمه هو. و من هذا نستدل على ان نظام الدين قد بنى أو جدد هذا الباب الامامي من باب قلوفح ايضاً، لأنه كان قد استخدم الحديد في الباب الخلفي، الذي رأي كل من الحموي وابن شداد آثار الحديد فيه. وهذا دليل على ان الدولة الدوستكية قد استعملت الحديد في الربط بين الاحجار في بعض بناياتها، منها على الأغلب الجامع الكبير بفارقين (كما نوهنا عنه في موضوع المباني الدينية). والمقصود هنا قطعة او (وصلة) حديدية قطرها حوالي (٣) سنتمتر إستخدمت لتقوية البناء. وإذا ما دققنا النظر في الباب، سيتجلى لنا بأن ترميم الملك الأشرف شمل المدخل والقسم الأعلى من البرجين. ففي البرج الأيمن بقيت أربعة أحجار وفي الأيسر عدد من الأحجار في صفين من ترميمه. أما الباقي منهما، فهو من عهد نظام الدين، ونلاحظ ذلك من نحت الأحجار. وقد إستعمل البنّاء ابو العلاء عدداً من الأحجار القديمة، حتى ان الحجر الذي يحمل اسمه كان قديماً. وفيما يلي صورتان للباب وكتابته أخذناهما أثناء زيارتنا لفارقين.

يظهر في الصورة برج اسطواني كبير في السور الداخلي (الخلفي)، وهو البرج الشمالي من برجي

(٣) قرأ الكتابة سليمان سافجي على ما في (ص٤٢) من كتابة على النحو الآتي:
"... المعروف قديما بباب المرآة والان بباب الفرج مولانا السلطان الملك الأشرف العادل المؤيد المظفر المنصور (...) ابو الفتح ابن مولانا السلطان الملك العادل ابي بكر ايوب ناصر أمير المؤمنين اعز الله انصاره..... الخطيب الحسيب شمس الدين ابي المعالي المفضل ابن جعفر ابن نباته وهمة الحاج الأجل المحترم سابق الذكر"، والصحيح (سابق الدين).
(٤) في كل من كتاب بسري كونيار وبيسان أوغلو نص الكتابة.

باب قلوفح

كتابة باب قلوفح

باب الجبل

الطبالين. وكان هذا البرج يقع في الجنب الشمالي للباب الخلفي، الذي كانت عليه كل من المنظرة والمرآة، والذي تهدم وبنيت في مكانه دار حقيرة. وعلى البرج كتابة لنجم الدين آلب الأرتقي سنة (٥٦١هـ). وتجدر الإشارة الى أنه ونتيجة لقيام أحد السكان بحفر أساس لدار كان يعتزم بناءها، ظهرت بناية ذات أعمدة حجرية مهمة كانت مطمورة، وذلك عند الباب من الطرف الشمالي الشرقي خارج السور.

٢- (باب الشهوة): كان يقع عند الزاوية الشمالية الشرقية من السور. وقد رأينا آثاره عند تل برج الملك. وكان مسدوداً منذ زمن بعيد وكان يتحكم في قسم من السور شمالاً وجنوباً.

٣- باب الجبل: سمي (باب الهُوّة) أيضاً. ومن قول ابن شداد يتضح لنا بأن التسمية حدثت في العهد الحمداني. يقع الباب في غرب باب الشهوة بالقرب من قلعة زمبيل فروش غرباً. وكان يقع في النهاية الشمالية الغربية من قصر نصرالدولة، وينفتح على القصر. بقي من الباب الجانب الشرقي، الذي عليه كتابة بتاريخ (٤٠٥هـ) بإسم نصرالدولة، حيث جدده كما سيأتي في نص الكتابة. وكان هذا الباب هو الباب الشمالي للمدينة وأمامه مباشرة من الخارج (الدكة) ثم (الخندق)، وكان يواجه الربض، وكان يقابل باب الجبل باب أرزن في القسم الجنوبي الشرقي من السور. وهذه صورته.

٤- باب الربض: كان يقع في الزاوية الشمالية الغربية من السور مباشرة، وعلى جانبي مدخله

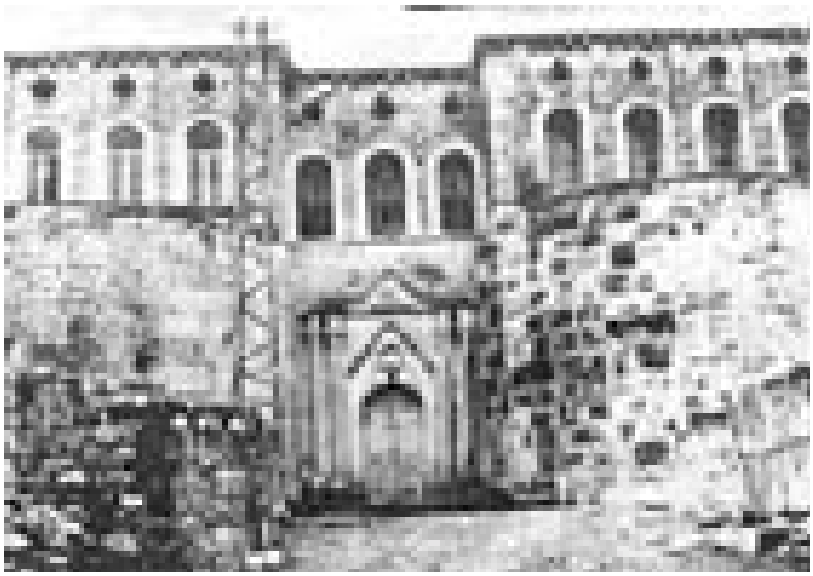

باب الربض

حالياً برجان صغيران. كان من أهم أبواب المدينة ويواجه شمالاً المنبع الرئيس لفارقين (رأس العين – عين حنباص). وكان يتحكم في السور من جهتين، شمالاً وغرباً. إحتل السلاجقة المدينة من هذا الباب، وقد شخصته وهو الآن سالم وهو مدخل دار صادق بگ من أحفاد أمراء سليڤان (أمراء فارقين)(٥). وأعلاه صورة الباب المذكور. وبالقرب من هذا الباب كتابة جميلة جداً لصلاح الدين الأيوبي(٦)، وكتابة أيضاً للملك الكامل الأيوبي، وفي جنوبه بمسافة أبعد بقايا برج شاهق هذه صورتها.

٥- باب الفرح والغم: سمي بـ(باب باقوسي) أيضاً، وباقوسي قرية في غربي المدينة. سمي أيضاً بـ(باب القصر العتيق). وهو الباب الغربي للمدينة ويقع بالقرب من الركن الجنوبي الغربي من السور من الجهة الشمالية. مازالت آثاره واضحة للعيان في السور الخارجي وقد صورناه. أما الصورتان الموجودتان عنده فلم أجد لهما أثراً. كانت الصورة الأولى لرجل يلعب بيديه، والثانية لرجل على رأسه صخرة، ولهذا سمي بباب الفرح والغم. وهو الباب الذي رأى ناصر خسرو عليه باباً حديدياً مشبكاً

(٥) ذكر ابن شداد في الأعلاق الخطيرة (ورقة ٧٣)، ان الخندق المحفور حول المدينة كان عبارة عن برك فُصل بينها بمقاطع يأتي ماؤها من عين حنباص، أي أن الخندق كان يملأ بالماء. وقال في (ورقة ٧٢) أيضاً أن سيف الدولة شرع بحفر الخندق حينما إستولى على المدينة.

(٦) أخذ صلاح الدين فارقين من الأرتقيين في ٢٩ جمادى الأولى سنة ٥٨١هـ وحضرها هو بنفسه كما جاء في (ص٨٩، النوادر السلطانية لإبن شداد الموصلي) ولكنه إستولى على مدينة دياربكر سنة (٥٧٩هـ) ومات أثناء ذلك. فأكملت اخته جميلة حفره. وفي مكان الخندق حالياً بساتين.

بقايا البرج جنوب باب الربض

باب باقوسي

وأعجب به. ولعله أحد البابين الحديديين اللذين كانا موجودين قبل عهد سيف الدولة الحمداني، إلا أنه عمل على تقويتهما، كما قال ابن شداد في (الورقة ٧٢). وكانت هناك آثار باب صغير عند هذا الباب قرب زاوية السور (برج علي بن وهب)، وقد شاهدنا له أثراً قليلاً، بالقرب من أثر البرج شمالاً وفي جنوب باب الفرح والغم، أي عند ضلع السور تقريباً.

٦- باب الميدان: كان يقع بالقرب من الزاوية الجنوبية الغربية للسور، حيث كان هناك قصر سيف الدولة الحمداني، الذي شيّد الناس في موضعه دوراً لهم، ولذلك لم أستطع تحديد مكانه بدقة. سمي هذا الباب بباب الميدان فتحه سيف الدولة لقصره ولم يكن له باب يقابله في الفصيل أي السور الأمامي، بل كان الطريق يخرج منه فيما بين السورين الى باب الفرح والغم. توجد تحت مكان السور في القسم الجنوبي الغربي غرب (العقبة)، أي الوادي الضحل الذي تجري فيه المياه القذرة للمدينة، ينبوع - فوقه آثار باب في السور، ولست أدري هل كان باب الميدان أو أنه من نوع الأبواب الصغيرة في السور الخارجي، وأمام الينبوع بعض البساتين.

٧- باب كان في أسفل العقبة، وكان يؤدي الى المحدثة وهناك الآن بساتين.

٨- باب أرزن- باب المحدثة- باب الخنازير: كان في ١٩٧٧ سالماً بصورة عامة. يقع في غرب الركن الجنوبي الشرقي من السور بحوالي مائة متر، ثم أخبرني بعض الناس أنه تهدم. وكان الباب الرئيسي للمدينة وورد إسمه مراراً في تاريخ الفارقي بإسم (باب المدينة) فقط. وقد ذكر في (ص٨٦) ان ممهدالدولة بناه من جديد سنة (٣٩٦هـ = ١٠٠٥-١٠٠٦م) إثر إنهدامه وكان باب الربض وباب باقوسي مفتوحين، واثناء تجديده فتح باب قلوفح. وبعد ان اكمل بناءه سد الابواب الثلاثة وكانت الاخرى مسدودة ايضاً، فبقي باب ارزن وحده مفتوحاً من بين كافة الابواب.

وذكر ابن شداد في (الورقة ٧٢) انه كانت هناك عدا الابواب الثمانية الكبيرة ابواب صغيرة في السور الخارجي (الفصيل) خاصة بالعمل كنقل مواد الانشاء الى المدينة ومنها.

اما السوران فإن قسماً كبيراً منهما قد ازيل، وخاصة السور الداخلي الكبير، من قبل السكان بصورة عامة. حيث نقلوا احجارهما لبناء دورهم وكذلك أبراجهما، بينما ابقوا احياناً أجزاءهما السفلى واتخذوهما أسساً لدورهم وهي تشاهد الآن تحت جدرانهما. وماعدا السور الخارجي (الامامي) الغربي، فإن معظم القسم الاسفل منه مازال سالماً مع مسنداته حافظت عليه البساتين، لأنه اصبح الجدار الشرقي لها ودعت مصلحة الجهلاء لإبقائه، علماً ان بساتين المدينة الكثيرة تقع بصورة عامة في غرب المدينة. اما السور الجنوبي، فقد ازيل وشيد مكانه او على الاجزاء السفلى منه الدور، عدا الجزء القريب من الزاوية الجنوبية الشرقية. اما السور الشرقي فبقي منه جزء بالقرب من تلك الزاوية ايضاً مع عدة ابراج. اما السور الشمالي، فقد ازيل ماعدا حوالي مائة متر او اكثر من الجهة الشمالية الشرقية. وكان وضع السور، أي السورين في عهد (گبرييل) عندما زار المدينة سنة ١٩٣٢ أحسن نوعاً ما من سنة ١٩٧٧، كما يتضح ذلك من مخططه الموجود في (ص١٤٣) من كتاب بيسان أوغلو.

مخطط گبريل للسور

وكانت هذه أبواب سور المدينة الأصلية، أما القسم الشمالي منها (الربض) والقسم الجنوبي (المحدثة – الميدان)، فكانا خارجين عن السور وإعتبرهما قسمين من المدينة كونها توسعت في العهد الدوستكي الذي توسعت فيه حركة الإعمار والبناء. وهي كما قال الفارقي في (ص١٦٦) إنغمرت أي إمتلأت بالسكان في عهد نصرالدولة وقصدها الناس والتجار من كل الأطراف. بينما ذكر ابن حوقل في (ص٢٠٣) مايعلم منه ان فارقين كانت قبل العهد الدوستكي قليلة المنازل والسكان. حيث قال ان مدينة الجزيرة وافرة السكان "وليست كأرزن وميافارقين من خلو المنازل". وقد حصل ذلك التوسع شمالاً وجنوباً فأصبح كل من الربض والمحدثة كمدينة. ولما زار ناصر خسرو فارقين في السنة السادسة والستين من العهد الدوستكي، ذكر في (سفرنامه، ص٤١) ان في الربض (كاروان سراها) أي خانات وأسواق وحمامات وكل ما ينبغي لهذه المدينة من مهمات(٧).

وبالنسبة لما ذكره من سور المحدثة، لم أجد ذلك في مصدر آخر. أما بالنسبة لسوقها، فمن جملة أسواقها كان هناك سوق خاص ببيع وشراء الخيل وسمي لذلك بسوق الخيل وكان يقع في طرف الجامع.

(٧) ذكر ابن شداد في الورقة (٧٢) أسماء حمامات فارقين والربض والمحدثة وهي: حمام القاضي بجانب الجامع وحمام سعيد تحت القصر وحمام العقبة وحمام الحطابين وحمام الآزج والحمام الجديد وحمام خزيمه أنشأها ابن الفقاعي وفي المحدثة حمامان، وفي الربض حمامان هما حمام جوزة وحمام حنباص. وكانت هذه موجودة في عهده وسبق وأن ذكرنا انه كان للقصر حمامين. وذكر الفاررقي ان في العقبة (داخل المدينة) حمامين، وفي (ص٢٦٩) ذكر الفارقي إسم (حمام ابن موسك) أي الرئيس ابي عبدالله بن موسك بن محمد بن كك. وكان الحمام ملاصقاً لداره بفارقين.